ستاين إيريك لوند

هنريك إبسن .. سيرة حياة



كل شيء أو لا شيء

ترجمة

زكية خيرهم



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : هنريك إبسن – سيرة حياة

ترجمة : زكية خيرهم

رقم الإيداع : 2012/9616

This translation has been published with
the financial support of NORLA

الطبعة الأولى ٢٠١٢



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

■ هنريك إبسن يتجدد ويتجسد

مقدمة بقلم : حسن توفيق



Henrik Ibsen

All or Nothing

وُلِدَ في النرويج، وعلى أرضها شب وشاب، إلى أن غاب، لكن حدود شهرته لم تتوقف عند حدود وطنه الجميل الذي أنجبه . هذا شأن العباقرة العظماء، الذين ينطلقون من أوطانهم، لكي يسكنوا قلوب الناس من مختلف العقائد والألوان والأجناس، وقد كان هنريك إبسن وما يزال واحدا من هؤلاء العباقرة العظماء، وهنا أجد نفسي مندفعا للإشارة إلى ثلاثة من هؤلاء الذين سبقوا إبسن، وهم - وفقا لأسبقية ميلادهم - ثرفانتس الأسباني، مبدع دون كيخوت، وقد ولد سنة ١٥٤٧ ورحل عن عالمنا سنة ١٦١٦ بعد أن عاش تسعا وستين سنة، ووليم شكسبير مبدع هاملت وروميو وجولييت وماكبث وسواها من روائع المسرح العالمي، وقد ولد سنة ١٥٦٤ ولم يُقدر له أن يعيش سوى اثنتين وخمسين سنة، حيث رحل عن عالمنا سنة ١٦١٦ وهي نفس السنة التي شهدت غياب ثرفانتس، وأما ثالث هؤلاء العباقرة العظماء فهو فولفانج جوته الذي عاش ثلاثا وثمانين سنة، حيث ولد يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٧٤٩ وغيبه الموت

يوم ٢٢ مارس سنة ١٨٣٢ بينما عاش هنريك إبسن ثماني وسبعين سنة، وكان طفلا في الرابعة من عمره عندما رحل جوته عن عالمنا، فقد ولد يوم ٢٠ مارس سنة ١٨٢٨ ورحل عن عالمنا يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٠٦ وبطبيعة الحال فإن هؤلاء العباقرة العظماء هم ممن أنجبتهم أوروبا،لكن هذا لا يعني أن البشرية لم تنجب سواهم في قارات العالم الأخرى .

تعمدتُ أن أشير إلى سنوات الحياة التي عاشها كل من ثرفانتس وشكسبير وجوته وإبسن، لكي أؤكد على أمر مهم، يتمثل في أن العبرة بما يُخلفه الكاتب العبقري وراءه من حصاد أدبي، يبقى من بعده ميراثا روحيا للبشرية جمعاء، ولعل المثال الساطع لما أشرت إليه في أدبنا العربي يتمثل في الشاعر العظيم بدر شاكر السياب الذي ولد سنة ١٩٢٦ ولم يعش سوى ثمان وثلاثين سنة، حيث رحل عن عالمنا يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٦٤ كما يتمثل في نجيب محفوظ الروائي العبقري الحائز على جائزة نوبل في الأدب،والذي ولد يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩١١ وعاش خمسا وتسعين سنة، حيث رحل عن عالمنا يوم ٣٠ أغسطس سنة ٢٠٠٦ فنحن نقرأ السياب - الشاعرالعظيم كما نقرأ نجيب محفوظ – الروائي العبقري، دون أن نلتفت كثيرا إلى ما عاشه هذا أو ذاك من سنوات حياة .

في هذا الكتاب الذي بين أيدينا يتجدد هنريك إبسن ويتجسد، وكأنه قد هرب من زمانه الذي عاش فيه، لكَي يتنقل ويتجول بين أبناء هذا الزمان، فقد استطاع المؤلف النرويجي ستاين إريك لوند أن يرسم بقلمه لوحات متناسقة ومتكاملة، تمتزج فيها حياة رائد المسرح العظيم إبسن مع أعماله المسرحية المتنوعة التي أبدعها خلال ما قدر له أن يحيا من سنوات، وأنا لا أعرف الكثير عن المؤلف النرويجي، لكنني أعرف أنه قد ولد في العاصمة أوسلو سنة ١٩٥٣، وحصل على الماجستير من جامعة أوسلو، وهو يعمل أستاذا منذ سنة ١٩٨٠ وقد نشر ستة عشر كتابا،أغلبها للأطفال وللشباب، وله كتابات أدبية متنوعة، حيث كتب مسرحية، ومجموعة من كلمات الأغاني وعدة قصص قصيرة،هذا إلى جانب مجموعة من القصائد، وهذا ما أهَّلَ ستاين إريك لوند لأن يحصد عددا من الجوائز،منها جائزة براغ سنة ١٩٨٨ وجائزة من وزارة الثقافة النرويجية في مجال أدب الأطفال سنة ١٩٩٩ وفي سنة ٢٠٠٤ حصل على جائزة فيستفولد للأدب

النرويجي، كما حصل على جائزة من وزارة الثقافة لأدب الأطفال سنة٢٠٠٩.

أما زكية خيرهم الشنقيطي - مترجمة هذا الكتاب، فإني أعترف بأني – في بداية الأمر – لم أكن أعرف عنها سوى أنها كاتبة مغربية، هجرت وطنها طواعية واختيارا، أو هاجرت منه اضطرارا، وفي الحالتين فإنها أصبحت إنسانة مغتربة في الغرب، وبالتحديد في النرويج، وهكذا قُدِّرَ لها أو شاءت لنفسها أن تبتعد عن الشمس الدافئة المدفئة، لكي تواجه ثلوج القطب الشمالي !

فيما بعد، سألت نفسي : كيف استطاعت زكية خيرهم أن تتأقلم مع مجتمع غريب تماما عليها ؟ كيف تمكنت من أن تندمج مع أناس لا يتكلمون لغتها العربية، وليست لديهم صورة واضحة الملامح عن الإسلام الذي تعتنقه هذه الكاتبة المغربية ؟ أي جهد جهيد قد بذلته إلى أن استطاعت أن تتعلم اللغة النرويجية ؟ وأي شعور بالثقة قد غمرها حين بدأت تترجم العديد من المقالات والكتب الأدبية من النرويجية التي تعلمتها إلى لغتها العربية، من خلال أسلوب عربي فصيح ومبين ؟

تذكرت مقولة سقراط الشهيرة والجميلة : تكلم حتى أراك، وقد بادرت زكية خيرهم بالكلام فاستطعت أن أراها، بعد أن تلقيت منها بعض إبداعاتها الأدبية، متمثلة في مجموعة قصصية بعنوان الأجانب في بلاد الفايكنج، ورواية طويلة جريئة بعنوان نهاية سري الخطير، ومن البديهي أو المنطقي أن تكتب الكاتبة عمليها الأدبيين في أوسلو عاصمة النرويج، لكن صدورهما لابد أن يكون عن طريق إحدى دور النشر العربية، وهذا ما كان وما تحقق !

دون حاجة مني لإجراء مكالمات مسموعة أو مرئية، تكفلت المجموعة القصصية الأجانب في بلاد الفايكنج بأن تجيب على الكثير من الأسئلة التي كنت قد طرحتها على نفسي، ومن الطريف أن الأسئلة التي كنت قد طرحتها أنا الإنسان المصري – العربي، قد جالت في ذهن كاتبة نرويجية، على دراية بالأدب العربي، حيث قالت فيستر بارج : هل يمكن للإنسان أن يكون سعيدا في بلد آخر؟ وتجيب الكاتبة النرويجية قائلة : إن الانتقال من الوطن الأصلي يعني تغييرا دراميا وفجائيا، لكنني أعترف بأن الرواية الطويلة والجريئة – نهاية سري الخطير، قد أجابت على سؤال لم يكن ببالي، وهو لماذا هاجرت

زكية خيرهم من المغرب، لكي تتحول إلى كاتبة مغربية مغتربة في الغرب، وعلى أي حال، فإنها استطاعت أن تندمج مع المجتمع النرويجي، وأن تتعرف - بصورة متميزة على ما يبدعه كتاب النرويج وشعراؤه وفنانوه، وكيف لا وقد أصبحت هي نفسها مواطنة نرويجية، تقوم بدورها في تعريف عالمنا العربي بما يكتبه النرويجيون، ولعل هذا الكتاب الذي بين أيدينا أن يكون مثالا ناصعا على ما تقوم به زكية خيرهم من دور إيجابي يساهم في التقارب المثمر بين الثقافات والفنون، رغم اختلافها وتنوعها .

وبطبيعة الحال، فإن هنريك إبسن ليس غريبا على الساحة الثقافية والأدبية العربية، فقد ترجمت مسرحياته الرائعة، كما عرضت فوق خشبة المسرح في العديد من الدول العربية، وفي سنة ٢٠٠٦ على وجه التحديد قام المجلس الأعلى للثقافة في مصر بالتعاون مع السفارة الملكية النرويجية في إصدار مختارات من إبسن التي صدرت في ثلاثة مجلدات فاخرة، وذلك في أجواء الاحتفالات بمئوية هذا الكاتب المسرحي العظيم،وعلى الغلاف الأخير من كل مجلد نقرأ فقرة دالة ومهمة تقول : لإبسن مكان كبير في تاريخ المسرح، إذ إنه من أساتذة الصنعة المسرحية، ومعلم من معالم تطور المفهوم المسرحي، كان المسرح قبله بعيدا عن مشاكل المجتمع الحقيقية، خاضعا في بنائه لمواصفات «أرسطو» المعلم الأول، وكانت المسرحيات تتراوح بين الإتقان المحكم والفتور البارد مثل مسرحيات «سكريب» و«ساردو» الكاتبين الفرنسيين اللذين راجت مسرحياتهما، وطوفت عبر القارة الأوروبية في ذلك الزمان، حتى كتب «إبسن» مسرحياته، فعبر عن مفهوم جديد للمسرح، وربطه بالحياة الدائرة، واختار شخصياته من غمار الناس، وناقش قيم المجتمع وأهدافه.

وقد تأثر بإبسن عدد كبير من كتاب المسرح الذين وفدوا بعده، وخاصة الكاتب المسرحي العظيم وأحد موجهي هذا العصر «جورج برنارد شو». كانت حماسة برنارد شو لإبسن لا تقل عن حماسته لجميع الأفكار الجديدة التي عاش حياته من أجلها، ومنه عرف شو أن سر المسرح الجيد هو أن يختار الكاتب المسرحي نماذجه من غمار الناس، وأن يكون عينا يقظة تتتبع ملامح عصره، وعقلا نافذا يلقي فيها الرأي والتوجيه.

كما أقامت مكتبة الإسكندرية - خلال مئوية إبسن - عدة ندوات فكرية ونقدية تتعلق بما أبدعه هنريك إبسن، ومما قاله الكاتب الفنان المصري سعد هجرس وقتها :

إن هنريك إبسن ليس مجرد كاتب مسرحى نرويجى مهم .فقد أصبحت أعماله الأدبية إرثاً مشتركاً للبشرية بأسرها، ولذلك ليس غريبا أن تشارك مصر فى الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على رحيل هذا الكاتب العبقرى. وقد جاءت هذه المشاركة المصرية رصينة، أمتزج فيها إعادة عرض بعض مسرحياته بالندوات وحلقات النقاش التى حاولت إلقاء أضواء مجددة على القضايا الجوهرية التى عبر عنها مسرح إبسن، فضلاً عن إعادة «اكتشاف» شخصية «إبسن» ومراحل حياته وعلاقته بمصر. وفى الحفل الموسيقى الذى نظمته مكتبة الإسكندرية - بمناسبة مئوية إبسن - فاجأنا المايسترو المتألق شريف محيى الدين بتقديم ثلاث قصائد للشاعر المصرى الكبير أمل دنقل ، اختارها بعناية من مراحل مختلفة من حياة أمل دنقل، وقام بتلحينها، وقامت ثلاث زهرات من المواهب التى ترعاها مكتبة الإسكندرية بغنائها باللغة العربية، بينما تمت ترجمة كلمات القصائد الثلاث إلى اللغة الانجليزية، ترجمة جميلة أعتقد أنها وصلت إلى الضيوف النرويجيين ومسَّت شغاف قلوبهم، مثلما أثرت فينا أعمال هنريك إبسن. وقد أعجبنى كذلك أن النرويجيين يبدون اهتماماً حميماً بأديبهم الكبير، ولا يكتفون بكلمات التمجيد لهنريك إبسن، بل يترجمون ذلك إلى أنشطة إبداعية، منها على سبيل المثال فكرة جميلة حيث قام أحد كبار النحاتين النرويجيين بتجسيد شخصيات مسرحيات إبسن إلى أعمال نحتية وتماثيل برونزية. وهى فكرة جديرة بأن نستلهمها، كما أن السيدة أنا ستينهامر نائبة وزير الخارجية التى رأست الوفد النرويجى الذى شارك فى احتفالية مكتبة الإسكندرية لم تكتفِ بكلمات بروتوكولية فى هذه المناسبة، بل أن كلمتها التى ألقتها فى حفل العشاء تضمنت إضاءات مهمة لرحلة إبسن الإبداعية، ومعلومات طريفة غير معروفة ، منها مثلاً أن نهاية مسرحية «بيت الدمية» كانت محل جدل كبير، وان هذا الجدل وصل إلى منزل إبسن نفسه، ووصل إلى حد تهديد زوجته سوزانا له بأنه إذا لم يجعل بطلة مسرحيته «نورا» ترحل من بيت الدمية (فى المسرحية) فإنها ستترك له بيت الزوجية وترحل هى الأخرى!

وخلال مئوية إبسن سنة ٢٠٠٦ تحمس فنانون نرويجيون لفكرة إعداد فيلم سينمائي، يعتمد أساسا على إحدى القصائد الشهيرة لهنريك إبسن، وهي قصيدة تيريه فيجن، وحين عُرِضَتْ الفكرة على محمود درويش تحمس هو أيضا لها، واختار قصيدته

جندي يحلم بالزنابق البيضاء، لكي تمثل ملمحا آخر من ملامح التسامح والكفِّ عن الانتقام ممن أساءوا، وهكذا اعتمد فيلم – هوية الروح – على التزاوج والتمازج بين قصيدتي إبسن ومحمود درويش، وقام الشاعر الفلسطيني العربي الكبير بإلقاء القصيدتين على امتداد الفيلم، الذي شاهده بعد إنجازه كثيرون من البشر في الشرق والغرب، وإن كان محمود درويش قد رحل عن عالمنا يوم ٩ أغسطس سنة ٢٠٠٨ قبل أن يسعد بمشاهدته والتعرف على الأصداء الجميلة التي حققها في نفوس أولئك الذين شاهدوه .

يبقى أن أقول إني قد سعدت بكتاب المؤلف النرويجي ستاين إريك لوند الذي استطاع – كما قلت – أن يرسم بقلمه لوحات متناسقة ومتكاملة، تمتزج فيها حياة رائد المسرح العظيم إبسن مع أعماله المسرحية المتنوعة التي أبدعها خلال ما قُدِّر له أن يحيا من سنوات، وقد تحققت هذه الفرحة بالكتاب من خلال ترجمة الكاتبة المبدعة زكية خيرهم له، وهي لم تكتفِ بالترجمة الجميلة من النرويجية إلى اللغة العربية، وإنما شاءت أن تضيف في خاتمة الكتاب مقالا نقديا رائعا كان الناقد المصري الكبير الدكتور علي الراعي قد كتبه عن مسرحية هايدا جابلر، كما أنها قامت بكتابة نبذة مطولة ومفيدة عن مؤلف هذا الكتاب «ستاين إيريك لوند»، وسيظل هنريك إبسن يتجدد ويتجسد لا في النرويج وحدها وإنما في كل أرض تعشق الحرية، وتناضل من أجلها .

حسن توفيق

القاهرة – مايو ٢٠١٢

magnoonalarab@yahoo.com

■ مقدمة المؤلف

ستاين إيريك لوند



Henrik Ibsen

All or Nothing

في سنة ١٨٩٩، أي بعد ما يقرب من خمسين سنة على عرض هنريك إبسن لأول مرة مسرحية كتالينا لتكون آخر مسرحياته، «عندما نستيقظ نحن الموتى»، طبعت على شكل كتاب، وبعد ذلك بسنة واحدة، عرضت على خشبة المسرح.

وخلال خمسين سنة ابتكر إبسن طريقة جديدة تماما لكتابة مسرحياته التي ترجمت إلى لغات عديدة وعرضت على خشبة المسارح في جميع أنحاء العالم، الأمر الذي جعله مشهورا عالميا. وقبل وفاة إبسن سنة ١٩٠٦، صنفت أعمالُه ضمن أشهر الأعمال الدرامية.

ما الذي يجعل العمل الفني كلاسيكيا؟ بالطبع يمكن مناقشة ذلك. لكن هناك معيارين على الأقل. أولهما: أن العمل الفني يجب أن يكون إبداعا جديدا عندما يتم صنعه، وأن يظهر أشياء لم تطرح من قبل. وثانيهما: أن يعيش ذلك العمل الفني ويمنح للجمهور

المعرفة والفهم لسنوات طويلة ، وأن يستمر هذا الإبداع في العيش، ويشعر به الجمهور وكأنه يتحدث عنه.

كلا هذين المعيارين تحققا في أهم مسرحيات هنريك إبسن. فكل مسرحياته – بطريقة أو بأخرى – تكشف عن معان في الحياة. كيف على الفرد أن يعيش، لتكون للحياة معنى، رجلا كان أو امرأة. حيثما نعيش وبغض النظر عن الظروف السياسية والاجتماعية التي نعيش تحت ظلها. وعلى الرغم من أنّ مسرحيات إبسن كتبت في النصف الأخير من القرن الثامن عشر، إلا أنها مازالت تتحدث إلينا نحن الذين نعيش اليوم.

معظم مسرحيات إبسن تكون أحداثها حول حياة عائلية، كيف لحياة شخص أن تؤثّر في حياة الناس القريبين له، الناس الذين يلتقي بهم أو يتعايش معهم في حياته اليومية.

هكذا يُعرف العمل الفني الكلاسيكي، لم يعد أحد يناقش إن كان العمل جيدا أو رديئا. يمكن للمرء مناقشة جودة العمل الكلاسيكي، لكن ليس من المألوف أن نقول عن هذه الأعمال رديئة، لايمكن للمرء أن يقول إن إبسن كتب عملا رديئا بعدما تعمق في كتاباته. يمكن للمرء أن يشاهد مسرحية ولا يحبها، ذلك شيء آخر. لكن هذا لا يعني أن يقول المرء أن العمل رديء.

يمكن بعد مشاهدة عرض مسرحي لإبسن، أن يشعر المشاهد أن المسرحية مملّة. يمكن أن يدرك ذلك، ولكن هذا ليس ذنب إبسن أن يكون العرض مملا.

ما يستوجب فعله عندما يشاهد المرء عرضا مسرحيا مملا لإبسن، هو أن يجد الكتاب ويقرأ ما كتبه الكاتب، وإذا استطاع أن يحصل على نص الكاتب، كلماته، أسلوبه في تلك الحالة يستطيع أن يعيش القارئ ويحس أنه يقرأ عن شيء مهم. لأن مسرحيات إبسن كلاسيكية ومن ثم فهي جزء من التراث الثقافي النرويجي _ من المهم أن نساعد الشباب للتعرف على الشخصيات التي وراء المسرحيات، حينها يصبح الأمر يسيرا على الفهم. وعلاوة على ذلك يصبح المرء متشوقًا لمعرفة الشخص الذي أبدع تلك المسرحيات. لذلك كتبت هذه السيرة الذاتية.

لا يوجد أي فيلم أو تسجيل صوتي لهنريك إبسن لنرى كيف كان يتحرك و يتكلم، لا يسعنا إلا أن نتخيل ذلك. توجد صور ولوحات ولكنها متشابهة جدا لبعضها البعض

بطريقة غريبة. كل تلك اللوحات والصور تظهر رجلا ذا شعر ولحية كثيفة ووجه تظهر عليه الجدية ،مرتديا معطفا محكم الأزرار، إلاّ صورة واحدة مشهورة للرسام إيريك ويرن شيولد، يضحك فيها إبسن.

يفترض أن هنريك إبسن كان دقيقا جدا في لبسه ومظهره، عندما تأخذ له صورة أو يرسمه فنان. ما تبقى بعد وفاته هي كتاباته وذلك هو الأهم. لكن من المؤكد أنه كان يريد أن يراه الناس في طريقة معيّنة.

عاش إبسن حياة هادئة باستثناء بعض الأحداث التي لم تكن درامية الى حد ما. لذلك ليس مهما أن نتحدث عن حياته وتجربته، خاصة وأنه ليس هناك كثيرا قوله. غالبا كان يجلس حول منضدته ويكتب أو يمشي في الهواء الطلق وفي بعض الأحيان كان يتناقش مع أحد أو يكتب رسالة.

لكن المثير أنّ حياة إبسن الدرامية تدور داخل عقله حين كان يكتب أو يخرج ليمشي في الهواء الطلق. وعلينا البحث في مسرحياته إن أردنا إيجاد مواد درامية. لذلك جاءت هذه السيرة الذاتية لتتحدث كثيرا عما كتب. وأحداث هذه المسرحيات بحد ذاتها كافية تماما. من الممكن أن يقضي المرء حياته بأكملها ليتعمق في مسرحيات ابسن، ليقرأها، ليشاهدها ، يفهمها ويحسها ويستفيد منها.

في هذه السيرة الذاتية هناك بعض الأماكن التي تصف كيف كان يفكر إبسن وماذا كان يعني. لا يمكننا أن نعرف إن كان ذلك صحيحا، ولكن الوصف في هذه السيرة الذاتية يشكّل لنا صورة عن مدى قراءة الكاتب لحياة إبسن.

كتب إبسن خمسا وعشرين مسرحية. وغني عن القول، أنه في سيرة قصيرة كهذه، لا يمكن التوغل في كل مسرحياته بعناية. بالنسبة لكثير من القراء قد يرون هذه السيرة الذاتية هي بمثابة اللقاء الأول مع إبسن، لذلك ما هو موجود هنا هي المسرحيات التي يمكن أن تستقطب الشباب، كما أنها من أشهر المسرحيات.

توجد فرص لمن يريد أن يتعمق في الأعمال الإبداعية لإبسن. لا يوجد مؤلف نرويجي كتب عنه أكثر مما كُتِب عن إبسن. وكتب جديدة تصدر باستمرار عن حياة الكاتب وأعماله. على شبكة الإنترنت هناك مواقع لاتحصى. أهم المسرحيات التي

عرضت على الراديو سُجِلت على أقراص مدمجة. المسارح الثابتة والحرة تعرض مسرحياته باستمرار. من وقت لآخر يقام مهرجان إبسن في المسرح الوطني بأوسلو. حيث تعرض الأعمال النرويجية وأعمال أخرى للضيوف المشاركين في المهرجان. ومجموعة أعماله توجد على شكل كتب في كل مكتبات النرويج وأيضا في المحلات التجارية لبيع الكتب وفي كثير من البيوت.

السيرة الذاتية منسقة على شكل رحلة من خمس مراحل. وتتحدث عن الأماكن التي أقام فيها إبسن في كل مراحل حياته. كانت الرحلة على هذا المنوال: شيين- غريمستاد (١٨٢٨-٥٠)، كريستيانيا- برغن - كريستيانيا (١٨٥٠-٦٤)، روما- دريسدن- ميونيخ(١٨٦٤-٦٨)،روما- ميونيخ (١٨٧٨-٩١) وكريستيانيا (١٨٩١-١٩٠٦).

في الوقت نفسه فإن كل مرحلة من حياة إبسن تمثل تطورا في حياته وكتاباته: شيين- غريمستاد (الطفولة والشباب)، كريستيانيا- برغن - كريستيانيا (التدرب على صنعة)، روما - ميونيخ (النجاح والتقدير) وكريستيانيا (الشيخوخة).

ونُنبّه في النهاية إلى أنه لا يمكن للمرء أن يقرأ أو يشاهد مسرحية إبسن لمجرد المتعة. كتابات إبسن تضع الأصبع دائما على أماكن في دواخلنا التي ربما لا نحبها أو لا نريد الاعتراف أنها بداخلنا. لذلك دائما يكون مؤلما التعرف على إبسن. ولكن إن تجرأنا على الخوض فيما يريد إبسن أن يقول لنا، فمن الممكن أن نتعلم شيئا منه.

حظًا سعيدًا مع إبسن!

توسبارغ، يناير ٢٠٠٣

ستاين إيريك لوند

■ أول رحلة بعيدا عن الأهل



Henrik Ibsen

All or Nothing

بعد أن تم تعميد إبسن في كنيسة (يـاربن) وهـو في سن الخامسة عشرة والنصف ، سـافر مباشـرة بعيـدا عـن أهلـه، مـن (سـنيبتورب) في (شـيين). المركـب الشراعي الذس سافر عليه يوم ١٦ نـونبر ١٨٤٣ كـان اسمه (لوكنس بروفا).

أبحر المركـب الشـراعي نـزولا إلى نهـر (شـيين) عبر (بورسغرون)، ثم إلى خليج (فريار) ، مرورا بين ساتاثيلا وبريفيك، ثم إلى خليج لانجسـوند، وصـولا إلى الساحل، حيث اتجـه نحـو الجنـوب الغربـي. مـر المركب على كراغرو- ريسور وأرندال، وبعـد أسـبوع من الإبحار، توقف على رصيف الميناء. في غريمستاد، مدينة من ثمانمائة نسمة.

وصل هنريك إلى اليابسة، ليبدأ مرحلـة جديـدة في حياته. كان يعمل كمساعدًا عنـد الصـيدلي (رايمـان)، مما جعله يمكث في البلد ست سنوات.

لم يكن من غير المألوف في ذلك الوقت أن يسافر الفتيان بعيدا عن الأهل بعد التعميد. لكن الفتى آنذاك يعتبر راشدا، كما كان من الطبيعي أن يحصل الفتيان على قبعة.

كان هنريك يريد الاستمرار في المدرسة لكن أباه لم يكن قادرا على تغطية نفقة التعليم. في تلك الفترة، كان التعليم محصورا فقط لفئات معينة ومحدودة وفي الغالب كان التعليم مقصورا فقط على الأغنياء. (لأن المدارس العامة لم تكن موجودة وقتها)، والأب بالكاد استطاع أن ينفق على تعليم ابنه إلى أن تعمد. لكن الآن كل شيء انتهى.

لذلك لم يكن لهنريك أي خيار، متابعة الدراسة معناه أن يغادر أهله وينفق على دراسته بنفسه. عندما رحل هنريك أصبح فم أقل لإطعامه وهذا يعني الكثير لتلك العائلة الفقيرة.

لا نعرف عدد السنوات التي قضاها إبسن في المدرسة قبل أن يتعمّد. ولكن على أي حال كان اسمه مسجلا في المدرسة المدنية بمدينة شيين وفي المدرسة الخاصة لستوكفليتش وهانسن بفوسوم مباشرة قرب فنستوب. تلك السنوات معا تشكل بضع سنوات في المدرسة. الدين كان مادّته المفضلة، بجانب التعليم حصل على دروس خصوصية في الرسم والتصوير.

بدأ يقرأ الإنجيل في سن السادسة والسابعة من عمره. محتمل أنه تعلم القراءة من والديه أو من مربية.

بويو أوردين، أحد رفقائه الذي كان يدرس معه في الصف في سنته الأخيرة بشيين، أخبر بعد سنوات عن نص كتبه إبسن وقرأه بصوت عال في الصف.

النص كان يتحدث عن حلم، هكذا اقتبس زميل هنريك النص بعدما أطلق لمخيلته التذكر.

«أثناء المشي فوق الجبال، كنا مأخوذين بالدهشة، مرتبكين ومتعبين من سواد الليل، مثل يعقوب في الزمن السالف.

هيأنا أنفسنا للاستراحة بوضع الأحجار تحت رؤوسنا. نام رفاقي باكرًا أما أنا فلم

أستطع النوم. أخيرا انتصر عليَّ التعب فوقف عليَّ ملاك في الحلم وقال: انهض واتبعني! سألته، إلى أين ستقودني في هذا الظلام؟ أجابني : تعال._ أمنحك رؤية تجعلك ترى حياة الناس على حقيقتها وواقعها. فتبعته والخوف يتملكني. وصرخة أيقظتني . » تدنّينا بخطوات ضخمة، إلى أن انحنت الجبال من فوقنا، على شكل قوس ضخم وهناك في الأسفل، مدينة الاشباح بكل أمواتها، ومسارات وعلامات لبؤس رهيب . عالم بأكمله غرق تحت قوة الموت، مخلوقات شاحبة تطفئ البهجة. وفوق هذا كله، بزوغ ضوء ضعيف كئيب قابض للصدر مثل جدار الكنيسة والصليب المصبوغ بالأبيض مرميا فوق المقبرة ، حيث النور أكثر وضوحا ويمكن معاينة تلك الهياكل العظمية الناصعة البياض، في طوابير لانهاية لها يملأون غرفة داكنة. شعرت ببرودة تسري في جسدي من الخوف، والملاك بجانبي يقول:« انظر إلى الفساد» حينها جاء طنين خفيف مثل بداية عاصفة، ليتعاظم ذلك الصوت لآلاف الأضعاف من أنين وتأوه ويتصاعد إلى عاصفة رهيبة ، هكذا يتحرك الأموات ويمدون أيديهم نحوي ... وصرخة أيقظتني من نومي ... وأنا مبلل برطوبة نسيم الليل البارد...!»

بعدما استمع الأستاذ (ستوكفليث) لتلك القصة اتهم هنريك إبسن بنقل النص من كتاب. شعر هنريك بجرح وغضب لذلك الاتهام فأصبح على خلاف مع أستاذه.

لكن الآن وبعد التعميد، يترك هنريك الأهل ويغادر. أي أفكار وأحاسيس كانت تستحوذ عليه، شاب في الخامسة عشرة من العمر في تلك الأيام السبعة من الإبحار بين شيين وغريمستاد؟

يمكننا أن نتخيله واقفا على ظهر المركب في ذلك الطقس البارد في حين ينظر إلى ما وراء البحر، أسفل المركب كان ضيّقًا ومزدحمًا فلا جدوى بالنسبة له في المكوث هناك. إذا فهو على ظهر المركب كان يقف.

(لوكنس بروفا) هو مركب شراعي وحيد الصاري، صغير نسبيا لنقل البضائع والأشخاص بين المدن الصغيرة في تليمارك وأكدر. لم تكن فيه غرف، وذلك العدد القليل من الركاب عليهم أن يجدوا بأنفسهم زاوية للنوم.

كان ذلك في شهر نوفمبر ومن المحتمل أنّ الثلوج تتساقط. هنريك يشعر بالبرد وما

كان يرتديه سوى تلك البدلة التي تعمّد فيها.

لا توجد صور فوتوغرافية له من تلك الفترة. أقدم صورة معروفة لهنريك كانت في عام ١٨٦١. حينها كان عمره ٣٣ سنة ولحيته كثيفة وكان سيغادر قريبا النرويج.

لذلك يجب فقط أن نتخيل كيف كان يبدو.

كان يقف ليلا على ظهر المركب. الظلام يعمّ المكان، رغم أن المركب يبحر قريبا من الساحل. لم تكن هناك أنوار في النرويج آنذاك. فهنريك كان واقفا يحدق في الظلام.

هل كان يفكر أن «لوكنس بروفا» هو الإسم الصحيح لذلك المركب الذي كان يسافر عليه؟ بالنسبة له أنه سافر فعلا ليجرب الحظ، مثل إسبن أسكلاد آخر. سمع أن هناك أناس يسافرون بعيدا إلى أمريكا للبحث عن الحظ. ربما كان يفكر في غريمستاد وكأنها أمريكا الصغيرة أو أمريكا الخاصة به. رغم أن غريمستاد مدينة صغيرة حجمها لا يتعدى ثلث مساحة شيين.

علاوة على ذلك هناك، في تلك المدينة الجديدة سينتظره الكثير وهو في تلك اللحظة لا يعرف أنه سيصبح أبا لطفل بعد سنوات من مكوثه هناك.

هل كان يفكر أنه سيكون يوما أحد أشهر كتّاب العالم؟ في سن الطفولة كان إبسن منطويًا على نفسه، يجلس كثيرا لوحده، وكانت له أحلام المستقبل والتي أغلب الظن لم يخبر أحدًا بها.

كانت والدة هنريك تهتم بالمسرح، ومدينة شيين آنذاك تشهد زيارات كثيرة من المسرح المتجول، خصوصا من الدنمارك، وبطبيعة الحال كانت الأم تصطحب ابنها.

نعرف أيضا أن الكتب كانت متوفّرة في البيت. وفي أمتعته القليلة التي كانت بصحبته في «لوكنس بروفا» عبارة عن صندوق من الكتب، لكن لانعرف مانوع تلك الكتب.

كان والده يدعى كنود وأمه ماريشن. لهما خمسة أطفال هم من عاشوا وهنريك كان أكبرهم. إخوته يوهان، هدفيج، نيكولاي وأولا.

ولد إبسن في مدينة، تجارتها متوسطة الحجم والموارد، متوفّرة فيها حركة الشحن

البحري، تصدّر الأخشاب خارج المدينة وبضائع أخرى تستورد. في النهار، يسمع طنين المنشار في كل أنحاء المنطقة.

على الجانب الآخر من الطريق حيث كانت تعيش العائلة، كان هناك سجن. من خلال قضبان النوافد كان هنريك يستطيع رؤية السجناء والمرضى. في ساحة السوق تتواجد المشهّرة، وهي آلة خشبية للتعذيب تدخل فيها يد المجرم ورأسه ابتغاء التشهير به أو تعذيبه. ورغم أنها لم تعد تستعمل حين كان هنريك في سنّ الطفولة إلا أنها تركت انطباعا في نفسه.

كانت عائلة إبسن ثرية جدا. كان والده يدير ما يسمى بالبيع بالتجزئة أو القطاعي. يبيع كل شيء، من بوردو كان يستورد البراندي، النبيد الأحمر والأبيض. ومن لندن كان يستورد الصوف ، الخيط والأثواب الصوفية. ومن ألطونا كان يستورد المواد الصوفية وخام (قماش)الكنفا.

كان يوزع البراندي إلى المدن النرويجية والخشب إلى الدانمارك ولندن. إلى ما فوق ذلك كان يبيع المواد الزجاجية، والقطع التقليدية النحاسية المزخرفة بالعاج.، المرايات، المخرمات، أدوات متعلقة بالبصريات، (الغليون) المرشوم والمواد الحريرية. كان الأمر وكأنه مغامرة حين يدخل الزبون إلى متجر كنود إبسن ورؤية البضائع تأتي من دول لم يسبق أن سمع عنها سكان المنطقة.

في ذلك الوقت كان كنود وماريشن يقيمان حفلات ويدعوان أغنياء شيين. ضيوفهما يأتون على عربات الأحصنة بلباسهم الأنيق ويكرمون بأفضل الطعام والشراب مما يوزعه خدم البيت. يجلسون حول مائدة مزينة وبعد العشاء يلقى خطابًا على شرف الضيوف ثم يليها تدخين السيجار وشراب الشامبانيا.

كنود إبسن كان رجلا محترما، ووالد لطفل يفتخر به. كان السكان يلقون عليه التحية عندما يمر سويا مع زوجته والابن الصغير في شوارع المدينة. ومن غير شك أن الابن لاحظ أن السكان كانوا يسلمون على الوالد باحترام. الرجال يرفعون قبعاتهم ويومئون برؤوسهم حينما كانت النساء ترفع المظلّة الشمسية ويومئن برؤوسهن أو ربما ينحنين أيضا.

لكن تفاعل عائلة إبسن في الحياة الاجتماعية في مدينة شيين انتهى. عندما كان هنريك في سن السابعة من عمره، اضطرّ والده للتوقف عن ممارسة التجارة وذلك لأسباب عديدة. كل ما كان يمتلكونه بيع في المزاد. وكان على كنود إبسن أن يسدّد ما تبقى من الدين طيلة حياته. الانهيار الاقتصادي حصل بسرعة فكان على العائلة أن تبيع بيتها في المدينة وترحل إلى الريف. إلى فنستوب في يربين خارج شيين. مزرعة كانت العائلة في الماضي تستعملها للإقامة بها في الصيف. رحلوا ممتطين عربة يجرّها حصان والتاريخ يقول أن سكان المدينة كانوا يقذفون العائلة بكلمات بذيئة حين مغادرتهم المدينة. لاشك أن ذلك أحدث أثرا في حياة إبسن...

كانت شرفة مظلمة في الفناء. غرفة نوم هنريك في العلّيّة، تحت سطح المنزل مباشرة، وفي غرفة أخرى هناك كانت تعيش امرأة عجوز غريبة الأطوار تدعى فاستر بلاوغ .ستكون بعد ذلك نموذجا للجرد العذراء في مسرحية « أيلوف الصغير » وفي مسرحية أخرى ستجري بعض الأحداث في تلك العلّية المظلمة.

في فينستوب كان هنريك يقضي معظم الوقت في البيت. شقيقته هيدفيج تتذكر تلك الفترة وتتحدث عن أخيها الكبير:

«مازلت أتذكر تلك الكتب المغلفة بالجلد البنّي، والذي لا أستطيع استيعابه هو معرفة كيف حصل عليها. كما أنني في ذلك الوقت لم أكن أفهم ، لماذا تستهويه تلك الكتب بعمق وتجعله لا يستطيع أن يرى شيئا غيرها. ليس فقط في فصل الصيف بل حتى في فصل ذلك البرد القارس. كان يحبّ فقط أن يختلي بنفسه.

بالنسبة لنا نحن لم يكن طفلا لطيفا في تلك الأيام، وكنا نعمل المستحيل لإزعاجه برشق الحجارة والكرات الثلجية على الجدران والباب. نريده أن يشاركنا في اللعب وعندما لم يعد يتحمل هجومنا عليه، يهرول خارجا ونلحق به. لم تكن لديه مهارة في أي نوع من أنواع الرياضة ، والعنف بعيد جدا عن سلوكه، لم يكن شيئا غير ذلك. فيعود إلى كتبه عندما يستطيع أن يبعدنا عنه.

في فينسيتوب نظم عرضًا لمسرح الدمى في المصبغة. رسم أجساما من الكرتون، وألصقها كل منها بثلاثة أزناد من الخشب لتتمكن تلك الأجسام أن تقف. شدّهم

بإحكام قبالة بعضهم البعض معلقين في حبل حتى يتمكنوا من الحركة، وكان يشعر بالغضب حين يلعب أحد بتلك الدمى.

نصف الشيلين كان تكلفة حضور العرض المسرحي. بنديكت باولسن التي شاهدت العديد من مسرح العرائس لهنريك وهي طفلة، ستصف بعد وقت لاحق أحد تلك العروض.

الدمية الكبيرة الفاتنة «إيزابيلا ملكة أسبانيا». كم كانت جميلة! ترتدي قرينول زهري من الحرير. يمكن أن تتحرك ببراعة إلى الأمام في ذلك العرض وبعد ذلك تصيح البنات الصغار في فرح. حينها يأتي الفارس فرناندو إلى الخشبة. يرتدي قبعة ذات ريش وبدلة حمراء بأزرار من ذهب. كان يتحرك ببطء ووجاهة نحو إيزابيلا. ويأتي موريون بسرعة البرق ويمسك بها للهروب بصحبتها. لكن الفارس فرناندو يدفعه بكل قوة بعيدا يجعله مطروحا على الأرض. وبعد ذلك فرناندو وإيزابيلا يسلمان على المشاهدين. هكذا مرّ ذلك المشهد.

مثل هنريك كذلك دور المشعوذ والمتكلم من بطنه. حينها ساعده أخوه الصغير نيكولاي الذي كان يجلس متخفيا في صندوق أمامه. كما أنه كان يجني قليلا من النقود من صناعة بيوت صغيرة ملونة من الكارتون، تبيعها امرأة عجوز في ساحة المدينة.

لم تكن فينستوب مزرعة صغيرة لكن المزارع التي كانت تحيطها أكبر بكثير. الوالد أيضا لم يكن مزارعا لذلك لم يستطع أن يعيل العائلة. في وقت لاحق وبعد تعميد هنريك، انتقلوا إلى سنيبتورب في وسط شيين حيث المسكن كان معدما أكثر من الذي تركوه في فينستوب.

لم يستطع الوالد أبدا أن يحصل على عمل ثابث، وبعد ذلك أصبح يتعاطى الكحول. أصبح عنيفا وصعب التعامل، مما جعل زوجته ماريشن تغادره في تلك السن المتأخرة وتسكن مع ابنتها هيدفيج إلى أن توفيت. كل واحد من والديه دفن في طرف من المقبرة ، لم يكن الأمر مألوفا في ذلك الوقت.

ربما كان هنريك ابن الخامسة عشرة من عمره، يفكر في الأب وفي إخفاقاته عندما كان في طريقه إلى اليابسة من رصيف غريمستاد ليبحث عن الصيدلية التي سيبدأ التعليم

فيها. أو ربما كان يشعر بالغيظ للقاء رايمان الذي يدير الصيدلية أو أن هذا الأخير سيرى كم كان يبدو هنريك فقيرا.

ستعني الملابس الكثير في وقت لاحق من حياة إبسن. كان يحب أن يقتني ملابس أنيقة وباهظة الثمن. لكن الناس كانوا يلاحظون أنه يرتدي ملابسه بتكلف ملحوظ، حتى في الفترات التي كان يمتلك قليلا من المال، كان دائما حريصا على أن يظهر بمنظر أنيق.

في تلك الفترة انتشرت إشاعة في شيين، بأن كنود إبسن لم يكن والد هنريك. ومع ذلك سمع عنها هنريك رغم أن الإشاعة على أغلب الظن لم تكن صحيحة. لا نعلم كيف سمع الخبر. ربما استرق السمع من والديه حين كانا يتشاجران والأب يتهم الأم بالخيانة.

هاتان المسألتان، إخفاق أبيه اقتصاديا والإشاعة التي تقول بأن هنريك ابن غير شرعي، تجعلنا نتخيل كيف كان ابن الخامسة عشرة من العمر يفكر في ذلك ، في الوقت الذي كان فيه مركب « لوكنس بروفا» يقترب من غريمستاد.

ربما كان سعيدا أن يسافر بعيدا عن الأهل.

هل كانت بداخله سعادة لوداع تلك الحياة المليئة بالمهانة عندما نزل إلى اليابسة في بلدة غريمستاد ؟

في الحقيقة ذلك ما فعل. ودّع شيين. تقريبا طيلة حياته لم يكن بينه وبين أهله اتصال، فقط بعد سنوات طويلة كتب بعض الرسائل لأخته هيدفيج ولم يزر مسقط رأسه إلا في جنازة أمه أو أبيه.



■ آثار من الطفولة والشباب في أعماله



Henrik Ibsen

All or Nothing

من الصعب معرفة مدى تأثير ما عايشه الكاتب في طفولته على كتاباته لاحقا. لكن فيما يتعلق بما كتب إبسن. الملفت للانتباه أن معظم مسرحياته هي حول أناس يعيشون وضعا اقتصاديا صعبا، أو أناس ولدوا خارج نطاق الزواج . وهذه المواضيع كان إبسن على دراية بها ، لأنه شاهدها بأم عينيه وأحسّها في جسده.

كما سنرى عندما نقترب إلى العمل في بعض المسرحيات، نجد إبسن مشغولا جدا بالقضايا الوراثية التي يرثها الاطفال من الوالدين أو من أقرباء آخرين.

يمكن أن تتعلق هذه الوراثة بالأشياء الجسدية كالأمراض الوراثية، ويمكن أيضا أن يكون شيء قام به الوالدين، كاختلاس مال أو الخيانة الزوجية أو قد تكون أفكار ومواقف وسلوكيات داخل العائلة. في ذلك الزمن كما هو الحال الآن كل عائلة لها أجواؤها المختلفة ونمط حياتها الذي تختلف به عن الأخرى.

في بعض الأماكن.. الحياة سعيدة يملأها الفرح والمرح وفي أماكن أخرى الجو ضاغط وظالم. بعض العائلات تناقش أفكارًا جديدة كانت متواجدة في ذلك الوقت، عائلات أخرى تنبش في الماضي.

عندما كتب إبسن عن هذا الميراث القائم في الحالة العائلية، فإن الموضوع في أغلب الأحيان يكون مرتبطًا بالعار والشعور بالذنب وتأنيب الضمير للأشخاص المعنيين. هناك شيء احتفظوا به سرا وعندما يكشف للعيان يتحول الى كارثة للمعنيين بالأمر، وكشف ذلك المستور هو التوتر أو المحرك في الكثير من المسرحيات.

يقول إبسن مرة في رسالة:« كل ما أبدعته، يرتبط تقريبا بما عايشته وليس ما رأيته. وهذا يعني أنه من المستحيل قراءة أو مشاهدة مسرحيات إبسن والاعتقاد بأن الكاتب هنريك قد سمع أو شاهد ما سيحصل في المسرحية لكنه سمعها ورآها في الخيال.

كما أنه ليس بالضروري أن يكون أحد شخصيات المسرحية ابسن، ولكن قد تكون مماثلة له أو تذكرنا به. لقد قال شخصيا أن برندا وبيرجنت كانا هو أو جانبا منه. وفيما يتعلق بالمسرحيات الأربعة والأخيرة التي كتب. » من الواضح أنه استخدم تجارب من حياته وجوانب من شخصيته لخلق هذه الشخصيات.

يمكننا أيضا أن نجد شخصيات تتشابه أو تذكّر بشخصيات صادفها. نستطيع أن نسميها نماذج، على سبيل المثال هناك العديد من شخصيات ابسن، تذكرنا بزوجته، أبيه، أمه أو آخرين. وعدد آخر من الشخصيات صادفها إبسن إما غاضبين أو يشعرون بإطراء لأنهم اعتقدوا أنه كتب عنهم.

يمكن القول أيضا إن الشخصيات التي يكتب عنها، فجأة تقوم بأشياء غير متوقعة. أشياء لا يمكن أن يتحكم فيها كذلك الأسلوب. أصبحت شخصياته نماذج أدبية، موصوفين بدقة ، نحسهم وكأنهم شخصيات حقيقية. أحيانا نحس أن المؤلف يكتب عنا، نلاحظ أن الشخصية في كتاب أو على خشبة المسرح تتصرف كما يمكننا أن نتصرف نحن أو تقول شيئا يمكننا أن نقوله.

كانت لإبسن قدرة فريدة على رؤية داخل العقل البشري. يفهم ويحس الناس على اختلافهم. كيف يفكرون ويشعرون. كانت له القدرة أن يكتب بطريقة تجعلنا نفهم

ونؤمن بشخصياته. هكذا قال إبسن شخصيا في حوار معه.

«أنا ذلك الكيميائي الذي يعرف المواد وينتظر النتائج، والصيغة التي تدهشني قولا وفعلا أو أشياء لم أتوقعها منهم. نعم، أحيانا يمكن أن يصعدون ويهبطون حسب الخطة الأصلية. الشياطين. الشاعر عليه أن يستمع لكلماته، أن يتحكم في القصيدة، في قيادة الشعر. ولذلك يأتي الفن فوق الواقع، لكن الفن أيضا واقعا. ما تقوم به الشخصيات المتقنة من فعل وقول فهو حقيقي. لأن العمل الفني مكتوب على الورق والممثلون على خشبة المسرح يقولون ما مكتوب على الورق. »

بعد سنوات طويلة، وفي وقت لاحق عمل إبسن على مسرحية بيت الدمية، حيث كانت نورا الشخصية الرئيسية. توجد نسخة من حديث بين إبسن وزوجته سوزانا. بينما كان إبسن جالسا منهكا في عمله، يلتفت فجأة إلى زوجته ويقول: «الآن رأيت نورا، أقبلت علي ووضعت يدها على كتفي.» ماذا كانت ترتدي؟ سألت السيدة ابسن. أجاب بجدية: «كانت ترتدي فستانا بسيطا من الصوف، أزرق اللون».

يمكن مقارنة ما نكتب بما نحلم. عندما نحلم، فقط في جسدنا شيء يحصل. نستلقي في هدوء تام أو قليل تحت اللحاف وأعيننا مغمضة حين نحلم/ ومع ذلك نعيش تجربة أو نمر منها. هكذا إبسن يريد أن يقول.

من الممكن أن نعتبر الحلم كالواقع. لأن الحلم موجود حين كنا نحلمه. إنه جزء منا، يعيش فينا. الأحلام تماما كالواقع، كالإفطار الذي نتناوله بعد استيقاظنا.

من المهم التمييز بين العمل الفني والشخص الذي خلق هذا العمل الفني. وفي نفس الوقت يستحيل تمييز ذلك. إجمالا إبداع الفنان له تأثير بالحياة التي يعيشها الفنان أو الفنانة.





■ سنوات الشباب في غريمستا



Henrik Ibsen

All or Nothing

عمل هنريك إبسن في صيدلية رايمان خلال السنوات الثلاثة الأولى من إقامته في غريمستا. لم يكن يستلم أجرة عمله تقريبا. كان فقيرا جدا لدرجة أنه لا يستطيع شراء الملابس الداخلية أو الجوارب. يعيش في غرفة مشتركة مع ثلاثة من أبناء المدير ولم يكن لديه أصدقاء على الإطلاق. يوم العمل كان طويلا ومرهقا له. وقد كانت الكتب ملاذه الوحيد في تلك المدينة.

هنا كان ينام مع الخادمة صوفي ينس داتر والتي كانت تسكن مع فتاتين في الغرفة المجاورة له. يظل الباب مفتوحا بين الغرفتين. في حال قدوم زبون إلى الصيدلية. وكما يحدث غالبا في الليل، كان على هنريك أن يمرّ من الغرفة حيث تنام الخادمات. ذات ليلة نام مع إيلزا صوفي، أو كما قال لاحقا:« جماع جسدي» كان عمره ١٨ سنة وهي ٢٦ سنة.

عندما اكتشفت أنها حامل، انتقلت من المدينة لتعيش مع والديها خارج مدينة (ليلّ ساند)، ولم

يناقش معها فكرة الزواج مطلقا. ولا نعرف أن إبسن في يوم من الأيام، قد فاتح زوجته (سوزانا) بوجود طفل له من قبل.

هذه الرسالة كتبها هنريك ليؤكد أنه هو الأب:

المسجل العام .. السيد بيروس

أناشد معاليكم أن تثبتوا إن كان عليّ أن أقبل أو أرفض أن أكون أبا للطفل المولود لبيجن إلزا صوفي ينسداتر بيركدالن، والذي عمّد بتاريخ قريب من ٢٥ أكتوبر. تقبلوا بفائق الاحترام اعلامَكم بذلك.، إضافة إلى أنه كان لبيجن علاقات جنسية مع أشخاص آخرين في ذلك الوقت. بالتأكيد لا أتجرأ أن أنكِر أبوة الطفل. لأنه وللآسف عشقت فيها المعاشرة الجسدية، حيث كان لها سلوك مغر وكنا نعمل في وقت متزامن بصيدلية رايمان.

الآن أبلغ من العمر عشرين سنة. لا أملك شيئا على الإطلاق، عدا بعض الملابس الرثة، حذاء وملابس داخلية، وبعد وقت قصير سأغادر صيدلية غريمستا بأي طريقة. أعمل في صيدلية تحت التدريب وكذلك من دون أي أجر وغذاء. يا أبي الذي مازلت حيا لمن سأشكي، لأول مرة أسلم نفسي لواحد من أصغر التجار بشيين وأنا في عزّ شبابي.

تفضلوا بقبول فائق الاحترام

غريمستا بتاريخ ٧ ديسمبر

هنريك ابسن

رغم أن هنريك تقبّل أنه يمكن أن يكون الأب، إلا أنه حاول أن ينكر ذلك بلباقة. قال بأنها كانت أيضا مع آخرين. ويعتبرها مسؤولة لأنها كانت « ذات سلوك مُغْو».

على كل حال، ليس من الصعب فهم الإثنين: فالصيدلي المتدرب والخادمةُ يبحثان عن السلوى عند بعضيهما. الإثنان يعيشان حياة في الحقيقة لا يريدان عيشها. ومن المؤكّد أن لهما رغبات أخرى عن العمل كخادمة وصيدلي متدرب عند رايمان. ومن المفروض أن نعتقد أنهما تحدثا سويا وأخبرا بعضيهما البعض أسرارا صغيرة أو كبيرة. يمكن أن علاقتهما أصبحت أكثر حميمية بعد علاقتهما الجنسية. أو ربما لم يكن الأمر كذلك. وربما كان هنريك قد غادر فراش الخادمة مباشرة بعد فعلته والعار يتملكه.

تبين الرسالة أيضا كم كان فقيرا وكم كان يشقى لدفع النفقات. غالبا ما كان يتأخر في الدفع ويهدّد بالإجراء الجزائي، وهو شكل من أشكال الحكم لمن لم يتمكن من دفع دينه. هكذا كان المدان يعامل حتى يوفي دينه.

في عام ١٨٦٤ ، انتقل إلى إيطاليا بعد أن سدّد كامل ديونه. لكنه لم ينس أبدا، «ابنه غير الشرعي».

لم يلتق إبسن بابنه أبدا، ربما مرة واحدة فقط عندما أصبح هنريك مشهورا عالميا وثريا وكان في السبعينات من عمره. أثيرت إشاعة أن إبسن المسن قد استقبل ولده غير الشرعي في شقته بمدينة كريستيانيا وكان الابن متسوّلا، أو متشردا كما كان يسمى في ذلك الوقت. قدّم المتسول نفسه على أنه ياكوب هنركسن وابن هنريك إبسن وطلب منه النقود. منحه إبسن خمس كرونات وأغلق الباب.

الأمر المؤكّد هو أن إبسن لا يريد الاعتراف بابنه. ما هي الأفكار التي انتابت ذلك الرجل المسن حين التقى بابنه لأول مرة، إن كانت الإشاعة حقيقة فنحن لا نعرف شيئا عنها. حتما سيكون منفعلا. ربما سيكون شخصية في إحدى مسرحياته. شخصية لا تريد أن ترى الحقيقة في عيني المشاهد، هي شخصية تجحد أفعالها.

في غريمستا تغيرت الأحوال. فقد تعرض رايمان للافلاس، والصيدلية آلت إلى لارس نيلسن، الذي يكبر هنريك بثلاث سنوات فقط. لارس نيلسن رجل لطيف وقد أصبح مديرا لهنريك وزميله في نفس الوقت. تغيرت حينها أحوال هنريك إلى الأفضل.

تمّ نقل الصيدلية الى منزل آخر في المدينة بعقد مناسب أكثر. وهنريك يعيش نوعا ما لوحده في الطابق الأول من المنزل، لان الصيدلي يعيش مع والديه. وسيكون له صديقان سيلعبان دورا كبيرا في حياته.

لارس نيلسن كان مرتاحا مع مدربه. كان هنريك دقيقا عندما يخلط الأدوية ولطيفا مع الزبائن في الصيدلية. علاوة على ذلك كانت أم لارس نيلسن تزوّد هنريك بكتب كانت تعتقد أنه ينبغي عليه أن يقرأها. وفي ذلك الوقت بدأ هنريك ينظم الشعر.

أول مسرحية لإبسن «كتالينا» كتبت في فترة عمله في الصيدلية. خلال اليوم كان يعمل في خلط المواد في الصيدلية وتوجيه الزبائن. وبعد الظهر كان يدرس لامتحان الثانوية الذي

كان آنذاك إجباريا ليسمح له بالدخول إلى الجامعة. وفي الليل كان يكتب مسرحية كاتالينا.

علاوة على ذلك، كان يقضي وقتا طويلا مع صديقيه الجديدين، كريستوفر ديو وأولا شولرود. يجتمعون عند هنريك في الغرفة الخلفية للصيدلية. غرفة صغيرة، سقفها منخفض، يوجد بها سريران، فرن كبير، مائدة وأربعة كراسي. غالبا ما يشربون البنش في السّر، شراب مسكر مؤلف من كحول (ربما سرق من بضاعة الصيدلية)، الماء والسكر. يشربون الخمر في جرّة المرهم الخاصة بالصيدلية. عندما يستشعرون قدوم أحد غير مرغوب فيه، يتجرّعون الخمر دفعة واحدة ويضعون الجرّات في الجيب.

كانوا يفعلون ما يفعله شباب اليوم. يشربون في السرّ ويتسامرون. يمزحون ويمرحون. يضحكون على نكت لا يعرفها إلا هم الثلاثة، يضعون خططا كبيرة لم يتحقق منها شيء!

في الشارع وتحديدا خارج النوافذ يمرّ بعض سكان المدينة مبدين قلقهم على شباب لا أمل يرتجى منهم. لكن الثلاثة لم يكونوا مهتمين بالأمر، كانوا فقط يتحدثون ويتحدّثون. وأغلب الظن أنّ هنريك إبسن قد استفاد أكثر من المحادثات مع صديقيه من المواد الدراسية التي كان يقرأها في نفس الوقت.

عن أي شيء كانوا يتحدثون؟

من المؤكد أنهم كانوا يتحدثون عن الفتيات، وعن أجملهنّ في المدينة وكيف يمكن الاتصال بهنّ. كان هنريك خجولا جدا. ربما يكون قد أخبرهما بأنه والد لطفل. نعرف أنهم كانوا يناقشون السياسة والدين. النرويج آنذاك كانت في اتحاد مع السويد وهنريك يريد أن تصبح النرويج جمهورية مستقلة. كان يعتبر نفسه ملحدا. وكانوا يناقشون الثورات التي تكتسح أوروبا بأكملها. وكان هنريك من الداعمين للثوار ضد الطبقة الحاكمة. وقد يكون أخبرهم في لحظات سكره بأن له أبا آخر غير كنود ابسن.

وبعد ذلك يخبر هنريك صديقيه الاثنين بأنه يكتب مسرحية. فحتى ذلك الوقت كانت الكتابة شيئا يحتفظ بها لنفسه فهي سرّ عميق. عندما أخبرهما هنريك عن فحوى المسرحية انتابهما حماس كبير، فقد كانا يعتقدان أنهما سيصبحان ثريين من مسرحيته. وأنهم جميعًا سيحصلون على مال يجعلهم يسافرون حول العالم. إذ من المهم أن تُدعم الموهبةُ بتشجيع الأصدقاء. فقد كان عند إبسن شعور بأن لا أحد يعتقد أنه سيصبح كاتبا ناجحا.

■ كاتالينا الكتاب الأول



Henrik Ibsen

All or Nothing

مسرحية كاتالينا مستوحاة من التاريخ الروماني، المسرحية تدور حول بطلة الثورة كتالينا التي قرأ عنها عند معلمه الخاص.

وحيدا في فقره يجلس تحت وهج ضوء الشمعة ويكتب بقلم يغمسه في الحبر الذي على المائدة بين الفينة والأخرى. يعرف أنه سيكون في قمة التعب عندما سيعمل في الصيدلية في اليوم التالي. إلاّ أنه يعرف أيضا أنه حريص على القيام بعمل جيد هناك. ربما من حين إلى آخر كان الصيدلي يبعثه في رحلة مجاورة لجمع الأعشاب لخلط الأدوية. ومع ذلك كان يكتب. الأشخاص الذين يكتب عنهم تكون إلى جانبه في الظلام، مفعمة بالحياة ويجعلهم يقفون أمامه ويتحدثون إليه. مدينة غريمستا ميتة وهادئة. وحده إبسن الذي لا ينام في ذلك السكون. لاشك أنه كانت لديه إرادة حديدية وثقة قوية بموهبته في ذلك الوقت.

كما سبق القول، لا توجد صورة لابسن في ذلك الوقت، لكن كرستوفر ديـو يقـول في مذكراته أنّ إبسن كانت له لحية كثيفة وبهية. لذلك يمكن أن نتخيله شابا في العشـرينيات ذا لحية كثيفة يجلس ويكتب على وهج ضوء الشمعة.

عندما نقرأ كاتالينا اليوم، تبدو لنا من الطـراز القـديم. كمـا أنهـا أيضـا لا تعتبـر مـن المسـرحيات الجيـدة. لكنهـا كتبـت بطريقـة شـعرية كمـا كانـت تكتـب المسـرحيات آنذاك. تأثر إبسن بالكاتب الألماني فردريك فون شيلر. ومن المحتمل أنـه سـمع أيضـا عن وليام شكسبير. ربما قرأ كتاباته من خلال ترجمة دانماركية رديئة، لأنه لم يكـن يـتكلم اللغة الانجليزية. تبدأ المسرحية عـلى النحـو التـالي، كتالينـا وهـي الشخصـية الرئيسـية تقول:

«لا بد لي! لا بد لي ، صوت يأمرني في عمق روحي ، -- وأنا سوف ألبي

أمتلك قوة، وإرادة لتحقيق شيء أفضل.

لشيء أسمى من هذه الحياة.

سلسلة فقط من الفجور

لا، لا ، يبرهن على رغبتها القلب.

أهيم بوحشية! أتوق فقط للنسيان ....

الأمر قد انتهى ... حياتي ليس لها هدف.

وبما أن إبسن كان يكتب بسرعة فقد جاءت كتاباتـه غيـر مقـروءة الخـطّ، ممـا دعـا «كرستوفر ديو» لإعادة كتابة المخطوطة من جديد. وقام «أولا شيلرود» بنقلها إلى مسرح كريستيانيا لكي يتم تسجيلها. لكنّ المسـرح رفضـها. بعـد ذلـك ذهـب «شـوليرود» إلى المدينة وجال بين المكتبات محاولا أن يُصدِرَ المسرحية على شكل كتـاب. فبـاء جهـده بالفشل واضطر أن يطبعها على نفقته الخاصة من ميراثه القليل ليخرجها إلى النور.

ما أروع الصديقين اللذين كانا لابسن! لم يعرفا أنهما كانـا يقـدّمان خدمـة لـلأدب في العالم لا تُقدّر بثمن. لولا «كريستوفر ديو» و «أولا شوليرود» لكان من الصعب أن تصدر

المخطوطة على شكل كتاب وبقي إبسن يعيش حياته تلك كما هي.

طبع من كاتالينا ٢٥٠ نسخة، في إحدى الصحف كتب المؤلف «برون يولف بيارمي». أن أربعين نسخة فقط بيعت من المسرحية، والباقي باعه إبسن كورق تغليف عندما عانى من ضيق مالي في السنوات اللاحقة.

لكن الآن يمكن وبدون شك وصفه بشاعر. وقد مضى وقت طويل قبل أن يصبح معروفا. وحدث ذلك بعد إصداره «لاحقا» مسرحيته « براند» في سنوات لاحقة.

كان إحساسا من نوع خاص بالنسبة لهنريك إبسن. شاب في العشرينيات من عمره يقف وبيده أول إصدار له. لأن إصدار كتاب معناه ترك علامة أو أثر يبقى حيا بعد موته.

من عادة الكهنة وأصحاب المناصب الدينية أن يتحدثوا عن نداء داخلي، بمعنى أنهم سمعوا صوت الله يقول لهم أن ينذروا حياتهم للتبشير بالمسيحية بين الناس. كما أن هناك أيضا أناسًا يتحدثون عن التعليم أو ممارسة الطب كنداء باطني، وأن صوتا بداخلهم يقول أنه من الواجب أن ينذروا حياتهم لتعليم الأطفال والمراهقين أو يعالجوا المرضى.

العديد من الشخصيات التي تناولها إبسن في مسرحياته هي شخصيات تشعر بأن لها مسؤولية أو رسالة في الحياة. شخصيات تعتقد أن لها بصيرة غير متواجدة عند الآخرين، ولذلك يكرّسون حياتهم لتنوير الناس من حولهم. والعديد من تلك الشخصيات التي لا تنجح في إبداء رسالتها التنويرية تشعر بأنّ لا أحد يفهمها.

هناك من يعتقد أن الكلمات الأولى التي انطلق بها إبسن في أعماله كانت حول شخصيته. « لابد لي! لابد لي، يأمرني صوت في أعماق الروح، _ وعليّ أن أتبعه.»

كانت الشخصية الرئيسية كاتالينا تتحدث، وإبسن وحده هو الذي يعرف إن كان يفكر في نفسه وفي ممارسة الكتابة كنداء حين كتب هذه السطور. هل كان يعرف ذلك؟ لكنها تبقى تعبّر عن حاله حتى لو لم يعرف ذلك. لأنه في أغلب الحالات لا يعرف الكتّاب لماذا يكتبون ما يكتبون. يقال أيضا أنّ إبسن وُلِدَ فنانا. هل يمكن أن يولد الإنسان فنانا؟ أو أن الإنسان يصير فنانا؟ أم أن الفنّ أمر يتعلمه الإنسان؟

في آخر مسرحيات إبسن _ عندما نستيقظ نحن الموتى _ يقول النحات «أرنولد روبك» : « إيرينا، أنا فنان. ولا أشعر بالخجل من الضعف الذي يمكن أن يلتصق بي. لأنني ولدت فنانا. أرأيت. وسأكون على أيّ حال في مهنة أخرى أسوأ من فنان.»

من المؤكد أن إبسن في هذه المسرحية كان يتحدث عن نفسه. بعد خمسين سنة استطاع أن يعتبر نفسه كاتبا.



■ كريستيانيا – برغن – كريستيانيا

(١٨٥٠- ١٨٦٤)

سنة دراسة نظرية في كريستيانيا وسنة تعليم في برغن



Henrik Ibsen

All or Nothing

سافر إبسن إلى كريستيانيا في الوقت الذي كانت فيه كاتالينا متوفّرة عند بائعي الكتب. في طريقه إلى العاصمة، زار شيين للمرة الأخيرة في حياته. هناك عرف أن الأم وأخته هيدفيج وواحدًا من الإخوة انضموا إلى صحوة دينية بقيادة الواعظ «لامرز». لم يكن لابسن ذلك الشعور بنكران الوجود الالهي. استغرق ما يقرب عن عشرين عاما قبل أن يتّصل بعائلته مرة أخرى، حيث كتب رسالة إلى هيدفيج بعد وفاة أمّه.

عندما وصل إبسن إلى كريستيانيا، بدأ يعمل في مصنع هلتبارغ للطلبة. رسب في مادّتين ولذلك لم ينه امتحان الثانوية. لم يتوفق حتى في اللغة النرويجية، وقال إنه لا ينبغي أبدا مواصلة التعليم في أي مدرسة أو جامعة. كان أفقر من أي وقت مضى، يعيش حياة بائسة ويرتدي ملابس قديمة. وفي أغلب الأحيان لم تكن له الإمكانية لتناول وجبة العشاء.

لكنه التقى بشخصيات جديرة بالاعتبار، تنتمي الى البيئة الفكرية في العاصمة. «بيورن ستيارن بيورنسن»، «بول بوتن هانسن» و«أسموند أولافسون فينيا». الثلاثة تربطهم الكتابة كما إبسن، وقد لعبوا دورا مهما في السنوات القادمة من حياته. من جملة ذلك حرر مجلة دورية، «أندريمر» سويا مع «بوتن هانسن» و« فينيا»، هناك كان إبسن يكتب ويرسم. وفي وقت لاحق سيكتب الأصدقاء الثلاثة عن مسرحياته في جرائد ومجلات. كان يدرس أيضا في مدرسة الأحد للحركة الثرانيتية، التي أسّسها ماركوس ثران وقد تم تعيين إبسن من قبل مسؤولي تلك الحركة. وقد حاولوا تحسين وضع الطبقة الفقيرة في النرويج. كانت تلك الحركة تُشكّل تهديدا حقيقيا لأصحاب السلطة السياسية والاقتصادية في الدولة. كان خطرا على المرء أن يكون عضوا أو يدعم الحركة الثرانيتية ومع ذلك لم يلق القبض على ابسن.

بيورن ستيارنا استمر في الاتصال بابسن مدى الحياة، رغم فترات عديدة من العداوة المريرة بينهما. الاثنان كانا فنانان وشخصيتهما قوية. كانا دائمي الاختلاف حول ما هو جيد في الأدب. وبسرعة يسيئان لبعضهما.

بينما كان يعيش في كريستيانيا تمّ عرض أوّل عمل عالمي لابسن. حيث عرضت مسرحية «عربة المحارب» في مسرح كريستيانيا، وبحضور إبسن نفسه في العرض الأول. وكان الامر فظيعا بالنسبة له: « اختبأت بعيدا في أحلك زاوية من زوايا المسرح». قال ذلك بعد سنوات عديدة.

في سن الإثنين والعشرين سنة، كان إبسن قد نشر له كتابا وعرضت له مسرحية على المسرح.

في عام ١٨٥١ حصل إبسن على أول عمل بأجر. كان يعمل شاعرا مسرحيا ومديرا تحريريا في المسرح النرويجي بمدينة برغن. عازف الكمان المشهور « أولا بول» هو الذي عرض عليه العمل.

في عقد عمل إبسن ألزم نفسه أن يقدم مسرحية درامية جديدة. وهكذا بدأ يقدم مسرحية كل سنة، 2 يناير١٨٥٣ كان العرض الأول في «سانكت هانس ناتن». تلتها في السنوات القادمة وفي نفس التاريخ، عربة المحارب (نسخة معاد صياغتها) ، «السيدة

انجر من أوستروت»، «العيد في سولهاج» و«أولاف ليلي كرانز».

كل هذه المسرحيات الخمسة كتبت بروح وطنية رومانسية، قائمة على تاريخ النرويج أو الشعر الشعبي النرويجي، وقد كتبت من غير إبداع أو بمستوى جيّد. ربما باستثناء مسرحية «السيدة اينجر» التي مازالت تعرض حتى الآن. و بجانب إبداعه في الكتابة فقد كان يعمل مدربا للممثلين.

في الواقع أن السنوات التي قضاها إبسن في برغن كانت صعبة. رغم أنه استطاع أن يكتب مسرحية كل سنة، أغلبها كانت فاشلة. مازال يحتاج إلى وقت طويل قبل أن يجد نفسه كاتبا مسرحيا. ولا حتى كمدرب للممثلين استطاع أن يظهر قدراته. يقول الممثلون في المسرح أنه كان في معظم الأوقات يمشي حول الكواليس صامتا ومتحفظا في ثياب غريبة ورثة.

لكنه خاض تجربة جميلة، وقع في الغرام. في ربيع ١٨٥٣ التقى بغريكي هولست. كان عمره ٢٥ سنة آنذاك ، وكان عمرها ١٦ سنة. لفتت نظره إليها يوما رمت باقة من الزهر على وجهه. بادلها الاهتمام بدعوتها إلى نزهة وأكرمها بثمر العليق والحلوى، كما كتب لها قصيدة حب . بعد ذلك ستخبر ريكي هولست الكثير عن ابسن. عموما كان أغلب الناس يرونه شخصية غريبة الأطوار، ويسيئون إليه بصوت منخفض وذلك كان يؤلمه داخليا أكثر مما يمكن أن يتصور المرء. حتى أصدقاؤه في بعض الأحيان كانوا يجدون في مرافقته في الشارع شيئا مميزا، لأنه كان إلى حدّ ما غريبا في شخصه وفي لباسه. لكن ما إن كان يبدأ في الحديث حتى ينسى المرء كلّ هذا ويتحدى النار معه دون تردد.

في أحد أوائل أيام يونيو ، تقدم للزواج من حبيبته ريكي، لكن الأب رفض ذلك لصغر سنّها. حتى أنّها لم تكن قد تعمدت بعد. منعها أيضا من أن ترافق إبسن لأنه كان فقيرا جدا. علاوة على ذلك لم يعجبه رسوب إبسن في امتحان الباكالوريا وأنه كان سياسيا راديكاليا. لكن رغم ذلك كانا يلتقيان سرّا. صديقتها ريكي كانت تراقبها، برفقة أخيها الذي يبلغ من العمر ست سنوات. أقاما الخطبة بطريقتهما الخاصة وذلك بربط خاتمين ببعضهما وإلقائهما بالخاتمين في الخليج. لكن ذات يوم فاجأهما الأب فأصيب إبسن بالذعر ولاذ بالفرار. لذلك انتهت تلك المواعيد الغرامية. بعد مضي ثلاثين سنة التقى

إبسن بريكي فسألها:« لكن في الواقع كيف لم يحدث شيء بيننا؟ أجابت ريكي هولست: ألم تتذكر يا عزيزي إبسن، أنك لذت بالفرار.؟ فردّ عليها إبسن وجها لوجه، « لم أكن قط رجلا شجاعا.»

هناك أيضا قصص أخرى حول ابسن، اتضح فيها أنه لم يكن جريئا، سواء في لقائه مع الناس أو حينما يتعلق الأمر بالمخاطرة الجسدية. كان دائما حذرا وقلقا. وفيما يتعلق بابنه سيغورد الذي انجبه من سوزانا، كان دائم الخوف عليه من أن يحصل له أيّ مكروه. مرّة كان سيغورد مع أمه في النرويج كتب له الوالد القلق :« دعني أرى أنك حذر في البرّ والبحر. أقلّ الحرص يتبعه أسوأ الأشياء. حذار من الاقتراب من الماء، ولا تركب قاربا. ومن الغريب أن نعتقد أنه كان قليل الشجاعة في حياته اليومية، في الشّعر يكاد لا يوجد أحد هناك بنفس شجاعة ابسن. طوال حياته كان دقيقا وحريصا.

بعد سنوات في برغن تمكّن من السفر الى كوبنهاجن ودرسدن ليدرس فن المسرح في أوروبا.زهناك عثر على كتاب للألماني هيرمان هتنر. الكتاب بعنوان «الدراما الحديثة»، وتعلم إبسن منه الكثير.

يقول هتنر في كتابه من ضمن أشياء أخرى، أنه عندما يكتب الشخص مسرحية تاريخية، عليه أن يصف الشخصيات بطريقة تجعل الجمهور يفهمها في ذلك العصر. ويضيف أنّ طبيعة الناس ومشاكلهم لم تتغير كثيرا خلال السنوات الماضية. سيحمل إبسن هذه المعرفة معه، وستظهر بشكل جليّ في السنوات القادمة عندما يكتب «محاربوا هيلجيلاند».



■ سوزانا



Henrik Ibsen

All or Nothing

بعد العرض الأول لمسرحية «العيد في سولهاوج»، والذي كان أول نجاح مسرحي لإبسن، تلقى دعوة من ماجدلينا ثوريسون وعائلتها. وهي شخصية ثقافية مهمة في المدينة. كانت تدعو الفنانين إلى بيتها لحفلة سمر وللحديث حول الأفكار في ذلك الوقت. هناك التقى إبسن ربيبة ماجدلينا ثوريسون. اسمها سوزانا وعمرها ١٩ سنة. كان عمر إبسن ٢٨آنذاك سنة آنذاك. وبعد بضعة أيام التقيا مرة أخرى. هذه المرة في حفلة راقصة. لم يرقصا كثيرا بقدر ما تحدثا. بعد تلك الحفلة الراقصة رجع إلى المنزل وكتب رسالة يطلب يدها بقصيدة شعرية.

فتاة حلمي الغامض
هل أجرؤ على التفكير بك
هل أتشجع لاختيارك
عروسا لأفكاري.. هل أجرؤ على الغوص
في روعة مملكتك
هل أجرؤ لرؤية عمق

روح طفولتك المزهرة

لتنبثق أجمل القصائد من صدري

بعدها أسبح حرّا

كطائر في شاطئ السحاب

كل المشاهد المبعثرة

ستتّحد في معنى وحيد

لأن أجمل مشاهد الحياة لمعانًا

ستنعكس في أغنيتي

فتاة حلمي الغامض

هل أجرؤ على التفكير فيك

هل أتشجع لاختيارك

كعروس لأفكاري

هكذا عرفنا القصيدة اليوم، ونعلم أن القصيدة تفتقد الأسطر الأربعة الأخيرة، فقد تمّ محوها، ربما لأنها كانت أكثر خصوصية. فيما بعد ستنشر زوجة ابنه بارجليوت القصيدة في كتاب أصدرته. فقد ضاعت النسخة الأصلية من القصيدة. عنوان الكتاب: «الثلاثة» ويتحدث عن سوزانا وهنريك إبسن وابنهما سيغورد.

لا شك أن الرسالة الشعرية قد أثّرت على سوزانا. رغم أنه لا يمكن القول إن القصيدة الشعرية تتحدث عن الغرام أو الحب. في الواقع الرسالة تعبّر عن نداء شعري يتمنى فيها أن تكون سوزانا بجانبه زوجة لشاعر. تمت الخطوبة بينهما في وقت قصير. لكنه كان فقيرا جدا لدرجة أن الحديث حول الزواج لم يُذكر في تلك الفترة لذلك تأجل الزواج.

في غضون ذلك، انتقل إبسن إلى كريستيانيا، حيث حصل على عمل جديد. في عام

١٨٥٨ سافر الى برغن وتزوج بسوزانا. رافقته سوزانا إلى كريستيانيا. وبعد سنة واحدة سيرزقان بطفل واحد، سيغورد. سمّي على اسم بطل آخر عمله المسرحي « محاربو هلجيلاند». القصة تقول أن سوزانا قالت بعد الولادة بصوت عال وواضح أنها لاتريد أطفالا كثيرين. فأصبح مؤكدا أن الزوجين لم تعد بينهما حياة جنسية بعد تلك اللحظة.

بقيا زوجين حتى توفي ابسن. والزوجان لم يخبرا أحدا عن حياتهما الجنسية. فقد كانا متفقين أن العالم الخارجي لا شأن له بذلك.

في العديد من مسرحيات إبسن نصادف رجالا تنفي وجود الحب، وقد كرّسوا أنفسهم للفن. ربما لأن امتهان الفن يتطلب الكثير من الفنان، الوقت والطاقة أو أن يضحي من أجل الحب. على أي حال أن هذه مسألة مهمة بالنسبة لابسن. ضحت سوزانا كلّيا من أجل زوجها، طوال حياتها كانت تعمل حتى يتفرغ زوجها للكتابة وتجهد حتى يعمل بشكل منتظم. ألاّ يشرب كثيرا، وكانت تبقي المتطفلين بعيدا عن البيت، وتجبره على الكتابة حتى في الأيام التي تكون صحته غير جيدة. وكان يستسلم لإجبارها، فأصبحت دائما تفعل ذلك. في رسالة كتبها إبسن حول زوجته سنة ١٨٧٠ : «إنها شخصية ذات طابع أنا بحاجة إليه، مخالفة للمنطق ولكن بحدس شعري قوي، وبالطريقة التي تفكر بها وبكرهها الشديد لكل الاعتبارات التافهة.»

عندما ينتهي من كتابة مسرحية ، يقرؤها بصوت مرتفع عليها وعلى ابنه سيغورد حين أصبح شابا. وعندما تزوج سيغورد ، كان يلتقي بأبيه للاستماع إلى آخر أعماله.

الابن سيغورد سيقول ما يلي حول زواج والديه: «صحيح جدا عندما يقول احدهم أن إبسن كان في بعض الأحيان يشعر بالغضب تجاه إرادة سوزانا، متمنيا أن يهرب بعيدا لكي يستطيع أن يتعرى في أحلام نهاره. كنت أفكر خصوصا في السنوات الأولى، إذا كان فعلا يريد أن يتركها فسيصبح كئيبا، وإن سحبت إرادتها سيكون تعيسا. كان عبقريا وكانت هي تلك الشخصية، شخصيته. وكان هو على علم بذلك. لكن لم يتقبل ذلك إلا في النهاية. أما هي فكانت تعرف ذلك طوال الوقت لذلك لم تتأثر بآراء الناس والأصدقاء ولا بانتقادات الأقرباء. كانت تعرف ماذا منحها القدر، وأخذته على عاتقها ومسؤوليتها

في حياتها.»

هناك أيضا العديد من الذين زاروا سوزانا وهنريك إبسن في شقق مختلفة على مرّ السنين، والذين قالوا كم كان بيتهما صغيرا وجميلا. لم يكن همّهما امتلاك الأثاث وأشياء أخرى. كانا يستأجران شقة مفروشة. الشيء الوحيد الذي يشتريان هو اللوحات الفنية.



■ سنة تعليم في كريستيانيا



Henrik Ibsen

All or Nothing

وفي كريستيانيا عمل إبسن مديرا فنياً في «مسرح كريستيانيا النرويجي». وهناك مسرح آخر في المدينة، تحديداً «مسرح كريستيانيا». أغلب ممثلي هذا المسرح دنماركيون، ويمثّلون باللغة الدنماركية بينما يحاول مسرح كريستيانيا النرويجي التمثيل باللغة النرويجية. وثمّة فرق آخر، أن ممثّلي المسرح الدنماركي أكثر كفاءة وأكثر خبرة ولذلك كانت تُقدّم هناك مسرحيات أكثر تطوراً. ويقدّم مسرح إبسن في الغالب مسرحيات هزلية وساخرة، ضدّ رغبته. الجمهور يختلف أيضاً فالطبقة الراقية وذو الأهمية في المجتمع والمتعلمين يذهبون إلى مسرح كريستيانيا الذي يقع في موقع رحب في بانكبلاسن. أما مسرح كريستيانيا النرويجي فيقع في مولرغاتا بجانب بار حقير ولذلك كان على جمهور مسرح إبسن أولاً أن يشق طريقه بين المومسات والسكارى، وعند وصولهم إلى المسرح يفضّلون أن يشاهدوا أشياء تضحكهم.

سيكون عملا شاقا بالنسبة لذلك المدير الشاب أن يدير مسرح الدرجة الثانية في المدينة.

ولكن رغم ذلك لم يعرض فقط المسرحيات الهزلية. في ١٨٥٨ عرض المسرح الوطني بكريستيانيا «محاربوا هيلجيلاند». وكان إبسن نفسه مخرج المسرحية. كانت المسرحية حول عصر الفايكنغ، وتتحدث عن السلطة والمجد والانتقام والحب الغير السعيد. على امتداد أعمال إبسن الإبداعية يلوم بقوة النساء المستقلات (الواثقات بأنفسهن). في مسرحية (الفايكنغ في هلغيلاند)، سنلتقي بواحدة منهن. اسمها يورديس، وفي طفولتها سيعطى لها قلب الذئب لتأكله لكي تصبح قوية. كتبت المسرحية على طراز الملاحم الايسلاندية. إنها مأساة عاشقين يأبى القدر أن يجمعهما ببعض فيموتان في النهاية.

يورديس امرأة لا يفهمها محيطها وأيضا معظم المشاهدين لا يستوعبون شخصية هذه المرأة. لكنهم يدركون أن هناك شيئا في شخصيتها يجعلها مثيرة للاهتمام. وربما الكاتب هنريك إبسن نفسه لم يفهم تلك الشخصية. لكنها كانت قوية لدرجة أنها تجذب الناس حولها _ خصوصا الرجال_ ليقوموا بأشياء ويتصرفون بطريقة لا يرضون عنها. يورديس وكثر من النساء في مسرحياته اللاحقة لقّبن بالشياطين وكذلك النساء اللواتي يتمتعن بقوى سحرية. هذا النوع من النساء سيبقى مسار اهتمام إبسن طوال حياته.

خلال كل أعمال إبسن الإبداعية تلقى الكثير من الانتقادات لطريقة وصفه للنساء. العالم النفساني سيجموند فرويد، درس بعناية العديد من مسرحيات ابسن. استخدمها لتبرير نظرياته الخاصة في التحليل النفسي. كتابات فرويد وأبحاثه لها تأثير هائل في فهم نظرة الإنسان في القرن الثامن عشر، ناهيك أنه من أهم المفكرين النفسيين. خلال الأربع عشرة سنة بعد انتقاله إلى غريمستا وقبل أن ينتقل إلى روما، كتب إبسن ثماني مسرحيات لم تلق نجاحا، رغم أنها أثارت بعض الاهتمام. كما أنه لم ينجح كمدير للمسرح. كل شيء انتهى مع إفلاس مسرح كريستيانيا النرويجي، رغم أن هذا المدير المولع بالفنون لم يكن المذنب في ذلك.

خلال هذه الفترة كان إبسن محبطا، يتعاطى الخمرة وشديد الحرص على مظهره. كان الأمر سيئا لدرجة انه في بعض الأحيان كان لا بد من إحضاره من بار سيء السمعة لمقابلة مجلس إدارة المسرح. لم يكتب بقدر ما كان يفعل. حتى سوزانا لم تتمكن من متابعته ، كانت تجلس في البيت تنتظره مع سيغورد الصغير. حصل على منحة تشجيعية صغيرة تمكنه

من السفر في رحلة دراسية داخل البلاد لجمع تـراث الشـعب والمغـامرات القديمـة. في وقت لاحق سيستعمل إحدى هذه المواد في مسرحية بيرجنت.

بعد خمس سنوات في العاصمة، سينشر مرة أخرى مسرحية «ملهـاة الحـب» و«ملـك الجليل». وقد تمّ عرض المسرحيتين، لكنه لم يكسب الكثير من المال في نشرهما. «ملك الجليل» كانت آخر مسرحية قام إبسن بالإشراف عليها. أحداث المسـرحية عـن حيـاة النرويج في ١٢٠٠ ، وتتحدث عن رجلين يتصارعان عـلى حـق العـرش، وعـلى السـلطة والدعوة إلى الحياة. هوكون الابـن ، ابـن هوكـون و هيرتـو سـكولا . وتقـف بـين هـذه الشخصيات نساء قويات. تعتبر مسرحية «كوميـديا الحـب» إحـدى أنجـح مسـرحياته. باسـتثناء مسـرحية أدعيـاء التـي تستحضـر أحـداثها مـن الحقبـة المعاصـرة. رغـم أن الاستعراضات كانت سيئة، والنقاد يعتقـدون أن المسـرحية كانـت لا أخلاقيـة، إلا أنهـا كانت ناجحة.

أصبح إبسن يفهم الآن ما هو مطلوب من النص الذي سيقدمه الممثلون عـلى خشـبة المسرح. ورغم صعوبة السنوات التي مرّت عليه تعلم الكثيـر. كـان يشـتغل يوميـا مـع الممثلين ومع الموظفين الـذين يعملـون بالمسـرح. الشـيء الـذي جعلـه يـتمكّن مـن الصنعة. ربما لم يصبح آنذاك فنانا، لكن قد تكون لديه فكرة عن الطريقـة التـي سـتمكنه من ذلك.

لم يكن هناك الكثيرون ممّن يدركون أن إبسن سيصبح في غضون سنوات قليلـة كاتبـا مسرحيا كبيرا. لكن هناك البعض ممن كانوا يشجعونه، أولهـم كانـت سـوزانا، وزميلـه بيورن ستييرنا بيورنسون. كان يُعتَبر بيورنسون في ذلك الوقت من الكتـاب النـرويجيين الرائدين. ومن ضمن ما نشر قصص عن الفلاحين «آرنا وسينوفا سولباكن».

ومن المحزن ألا يُفهم الفنان. وكثيرون من الذين كانوا في حالة إبسـن قـد تراجعـوا حتما. لا نعرف كثيرا كيف كان يفكر ابسن، لكن من المؤكد في الفتـرات المظلمـة كـان يعتقد أن اختياره كان خاطئا. في الوقـت نفسـه، كـان يشـعر أن لـيس لديـه خيـار آخـر، لكنه حصل على لقب شاعر. ربما كان الحرمان ضروريا لأنه بعد بضع سـنوات حصـل على تقدم مفاجئ. رغم أنه لم يحصل عـلى الاعتـراف بـه كاتبـا ومـديرا للمسـرح. كتب

مسرحيتين تؤشران على تقدّم ملحوظ. يقال أنها كانت خطوة في تطوره ككاتب مسرحي. كيف استطاع أن يكتب عندما كان في قمة الإحباط؟ هل سوزانا التي كانت تجبره للجلوس على طاولة الكتابة؟ لكن هل يمكن للمرء أن يكتب من دون أن يكون لديه إلهام؟ يقال أن إبداع الفن يتطلب خمسة في المائة من الإلهام وخمسة وتسعين في المائة من الجهد المضني أو العمل الشاق.



■ روما - دريسدن - ميونخ (١٨٧٨- ١٨٦٤)

الرحلة الثانية من الوطن



Henrik Ibsen

All or Nothing

في سنة ١٨٦٤ غادر إبسن النرويج. بيورنسون جمع له مقدارا من المال، كما أنه حصل على منحة صغيرة من البرلمان. بعد سبع وعشرين سنة سيرجع إبسن إلى النرويج مرة أخرى. سيتحدث شخصيا في ذكرى السبعين من عمره عن سفره جنوبا نحو إيطاليا.

سافرت عن طريق ألمانيا، والنمسا، مرورا بجبال الألب في التاسع من مايو. فوق أعالي تلك الجبال تتدلى الغيوم وكأنها ستار كبير من الظلام. ونحن تحت تلك الغيوم عبرنا نفقا. فجأة وجدنا أنفسنا بقرب ميرا مار حيث الجمال الجنوبي، وحيث ضوء مدهش حادّ يشع كما الرخام الأبيض. حينها انفتحت قريحتي وأثرّ ذلك على كل إبداعي المقبل، رغم أنه ليس كل شيء كان فيه جميلا، إلاّ أن هذا الإحساس يجعل المرء يتخلص من الظلام إلى النور. من الضباب عبر النفق خارجا إلى أشعة الشمس.

في ذلك الوقت كما هو الحال الآن، كانت النرويج عبارة عن بلد صغير على هامش أوروبا. لكن في أيام إبسن، قبل اختراع الهاتف والراديو والتلفزيون وقبل الانترنت، كانت النرويج أكثر تهميشا. لكن حتى يومنا هذا، عندما نسافر خارج النرويج إلى بلدان البحر الأبيض المتوسط للسياحة، نشعر بالحرية. الناس الذين نلتقي بهم هناك ودودون وعفويون. الطعام أيضا رخيصا كما أن مياه السباحة دافئة. كل الأجواء والمزاج يختلف عن الوطن. نشعر بالسعادة والعفوية ونتصرف بطريقة غير نرويجية. نكتشف أن هذه الدول عاش فيها الشعب واشتغل وقدّم أشياء عظيمة منذ آلاف السنين عكس حال النرويج التي هي حتى الآن لا يزال جزء كبير من طبيعتها غير متطورة. وربما كان ذلك هو السبب الذي يجعلنا نحب أن نكون هناك، لأنها تختلف عن وطننا.

لقاؤه بجنوب أوروبا أحدث انطباعًا قويا على ابسن. رجل في السادسة والثلاثين من عمره مع زوجة وأطفال. ماعدا زيارته لألمانيا لم يسبق له أن سافر بعيدًا عن الديار السكندنافية. كان وكأنه لأول مرة يتنفس طعم الحرية بعد سنوات عجاف في برغن وكريستيانيا.

في غضون سنوات قليلة سيكتب مسرحيتين: برندا وبير جنت اللتان أتاحتا له الاعتراف به ككاتب في الدول السكندنافية. لكن ماذا في ايطاليا التي جعلت من إبسن يحس أخيرا بحريته وينظم الشعر بالطريقة التي يريد؟ شيء واحد وهو الإحساس بتواجده في وسط الثقافة الأوروبية. حيثما يذهب في شوارع روما، يرى أعمالا فنية من تماثيل ونافورات وكاتدرائيات وكنائس ومدرجات المسارح وأماكن مفتوحة. في الفترات الجيدة كان إبسن يؤمن بقدراته العالية، ويعتبر حاله كاتبًا من الدرجة العالمية. ربما كان يحسّ أن هناك في ايطاليا كان ينتمي. كمنفي رجع إلى الوطن.

لم تقدر أعماله في النرويج، ولم يحصل حتى على منحة من الدولة. بالعكس اغتيب واستهزيء منه. قام باتصالات مع فنانين آخرين يقيمون في المدينة لكي يدرسوا ويعملوا. أصبح جزءا من محيط يقدره ويؤمن به كفنان. في المساء يجتمعون في المقاهي الرخيصة ويشربون النبيذ ويتحدثون عن الفن، السياسة، الحب والمشاكل التي كانت متواجدة في ذلك الوقت.

يقول إبسن بنفسه بعد فترة من إقامته في روما، زار كنيسة القديس بيتر. لم يكتب حتى ذلك الوقت مسرحية جديدة، أفكاره متواجدة لكنه لم يباشر بكتابتها حتى يذهب إلى كنيسة القديس بيتر. في ذلك الوقت كما هو الحال الآن، كانت كنيسة القديس بيتر تستحق الزيارة. إنها مبنى ضخم. قبة الأبراج تعلو عن سطح الأرض ب ١٤١.٥ متر ومعدل عرضها ٤٢ متر. زخرفها مايكل أنجلو و برنيني، اثنان من أكبر الفنانين في عصرهما.

لا أحد يعلم ماذا كان إبسن يختبر هناك. لكن ما نعرفه أنه بعد الزيارة مباشرة ذهب إلى بيته وباشر في كتابة برندا. زيارته لكنيسة القديس بيتر حركت شيئا بداخله. وهكذا بنيت المسرحية، التي تذكرنا بالكاتدرائية. ربما انبهر بالإنسان الذي أبدع في بنائه لتلك الكاتدرائية. إن كان الإنسان باستطاعته بناء تلك الكاتدرائية، يمكن له أن يكتب كاتدرائية.

كان لإبسن إيمان راسخ عن إمكانيات الإنسان. رغم أن الإنسان يفشل في خططه الكبيرة إلا أنه شيئ رائع أن يحاول الإنسان للوصول إلى الهدف. في كثير من الأحيان أن الطريق للوصول إلى الهدف أهم من الهدف نفسه. أن الإنسان يجاهد للوصول إلى شيء. توحد شخصيات كثيرة تحمل أفكارا كبيرة في مسرحياته، الشخصية الرئيسية في مسرحية برندا كان واحدا منهم. رغم أن إبسن قرأ الكتاب المقدس بتمعن، كان لديه شيئ من الاعتقاد أن الله هو الذي يجعل الناس قادرين على الإبداع.

في المسرحية الجديدة نلتقي بذلك القس الرائع براند، الذي جاء إلى قرية صغيرة ليعمل فيها. كان يؤمن أن المسيحية أصبحت بلا طعم وأن المسيحيين لم تعد لهم همّة ولا مبالين في العقيدة. إنه يطلب من الناس «كل شيء أو لا شيء.» الذين لا يريدون اتباعه فهم خاسرون. ضحى بكل من والدته وابنه وزوجته في ملاحقته الطائشة عن المذهب الصحيح. جائز أن نلقبه اليوم بالأصولي. في النهاية ليس هناك شيء ما عدا تلك المرأة النصف مجنونة جيرد، التي تريد أن تتبعه. لينتهي بالاثنين إلى مواجهة الاندفاع الطائش الثلجي.

اقتباس مشهور من براند هو: « ذاتك كما هي، كاملة ومتكاملة وليست مجزأة ومقسمة» حسب اعتقاد ابسن، كون براند كاهنا، ليس مهما لمجرى أحداث المسرحية ،

فهو يحتاج إلى أحداث وأحداث ، لأنه من الممكن جدا أن تكون له مهنة أخرى. المهم هو إظهار إنسان حامل لدعوة ينفذها دون أية مساومة. ستمر عشرون سنة قبل أن تعرض براند في ستوكهولم، واستغرق العرض ستّ ساعات ونصف الساعة.

قال إبسن يوما:

«في الوقت الذي كنت أكتب فيه «براند»، كان لديَّ عقرب في كأس فارغ على منضدتي. مرض الحيوان فرميت له قطعة من فاكهة رطبة، وكأي إنسان في حالة غضب يرمي بنفسه على تلك القطعة وينثر فيها سمّه فأصبح معافىً. أليس الحالة مماثلة معنا نحن الشعراء. قوانين الطبيعة تنطبق أيضا على الجانب الروحي.»

هل كان الحال مع إبسن كحالة العقرب؟ السّم تراكم بداخله، لكن عندما كتب تخلص من السموم. هل الكتابة نوع من التطهير؟ في مناسبة أخرى كتب أبياتا عن كيفية كتابة الشعر:

أن تعيش معناها حرب مع الوحوش

في القلب وفي سرداب الدماغ ؛

أن تكون كاتبا هو الحفاظ

على محاكمة النفس.

حدث هام في تلك الفترة بروما، أن بيورنسون حصل على عقد مع مكتبة جولدوندال في كوبنهاجن. اسم مسؤول دار النشر فريدريك هيجل، وهو الذي سينشر باقي مسرحيات ابسن. لديه ثقة كبيرة بإبسن وكان له المستشار الجيد. علاوة على ذلك كان كريما ويدفع بكل ودّ الرسوم مقدما، حتى وإن كانت المسرحية لم تنته. مسؤول دار النشر هيجل وناقد دانماركي اسمه جورج براندس، كان شخصين مهمين في جعل إبسن كاتبا معروفا خارج الدول السكندنافية.

نشر كتب إبسن في دار نشر جولدوندال، يعني أنه أصبح يجني المزيد من المال في أعماله الإبداعية. تخلص من الفقر، لكنه رغم ذلك لم يصبح هنريك أبدا رجلا غنيا مقارنة بالكتاب الأوروبيين الآخرين. لكنه على الأقل أصبح بإمكانه أن يدفع إيجار

البيت وأن يعيل زوجته وابنه. كما تخلص من اقتراض المال.

بعد اصدار مسرحية براند سنة ١٨٦٦ وافق البرلمان أخيرا أن الكاتب يستحق منحة. وسيحتفظ بذلك الراتب باقي حياته. سيكتب عشر مسرحيات قبل أن يعترف به السياسيون النرويجيون بأنه كاتب كبير.

استمتع إبسن بنجاح مسرحية براند. وتغير على الأقل في مظهره الخارجي، قص لحيته وشعره. واشترى ملابس جديدة، من ضمنها بنجورا وهو نوع من المعطف الطويل. ومن ذلك الوقت أصبح يرتدي طوال حياته معطفا أسودا من نوع البونجور. ومن ذلك الوقت سيبدو إبسن بلباسه الذي نراه به الآن في صوره ولوحاته. ومنذ تلك الفترة سيخلق صورة مميزة له. حتى خط يده تغير. أصبح يكتب بسرعة وبطريقة أنيقة وسهلة القراءة. للمرة الأولى بعد إفلاس أبيه حين كان إبسن عمره سبع سنوات، يمكنه ارتداء ملابس بطريقة لا تجعله يشعر بالخجل. لم يعد الناس يلتفتون إليه في الشارع ويعلقون على ثيابه الرثة. بالعكس أصبحوا يلتفتون إلى كاتب مشهور بلباس أنيقة. وأصحاب المطاعم يرون أنه شرف لاستقباله ضيفا. كان إبسن يقوم بحساب دقيق لكل شيء يشتريه. هذا جدول لمشترياته عندما حصل على مكافئة لمسرحية براند. (١ سكودي يساوي تقريبا ٥ كرون في عملة تلك الفترة).

٨ قمصان ١٦ سكودي

٨ جوزين جوارب «٣»

١ حذاء «٣»

٢ لباس داخلي من الصوف «٣»

٢ سترات «٤»

١ معطف (البونجور) «١٤»

١ جوزين من سراويل داخلية سوداء.

١ زوج من نفس اللون «٦»

١ الفراك. سترة رجالية سوداء تبلغ الركبتين.

١ قبعة ٣ »

٢ رباط ١ »

زر معدني لطرف كم القميص ٣ »

ساعة اليد ١٠ »

نظارات ٣ » ٨٨ سكودي

بيرجنت

يقول إبسن بعد مسرحية براند ، جاءت مسرحية بيرجنت بسهولة تقريبا. بالطبع لم يكن الأمر كذلك. مسرحية بير جنت عمل فني تمّ إنجازه ودرست بعناية حيث لا يمكن القول أنها أتت جاهزة بهذه السهولة. لكن إبسن أحسّ أنّ الأمر كان كذلك حين كان يكتبها. من الواضح كان الأمر صحيحا. بير جنت كتبت حين كان إبسن في مزاج عال حيث كان عنده إحساس أنه على أبواب انجاز شيء مهم. أنه قال أشياء تعني له الكثير. سافر خارج النرويج، الوطن الذي لم يعترف به كمبدع فنان. لكن في ايطاليا كان يحس أنه يمكن أن يقول ما في قلبه، من غير أن يفكر ماذا سيقول الناس عنه. كان بعيدا عن الوطن! وفي مسرحيته بير جنت قال إبسن كل ما كان يعتبره خطأ في النرويج وفيمن كان يسكن هناك ولأولئك الذين لم يعرفوا من كان بينهم.

عندما غادر إبسن الوطن استطاع أن يصوره ويصور الناس الذين يعيشون هناك. هكذا هو الأمر. فقط عندما نغادر الثانوية، نفهم كيف كنا عندما كنا هناك. فقط عندما ننتقل من مرحلة الطفولة نفهم كيف كانت حياتنا. نحتاج إلى مسافة لكي نفهم. لكي نكون قادرين على وضع كلماتنا على تجاربنا التي عايشناها في وقت وقوعها.

مسرحية براند غامضة وفيها كثير من الجدية، بينما مسرحية بيرجنت خفيفة، مشرقة ومرحة. تختلف الشخصية الرئيسية جدا في المسرحيتين. يعتقد إبسن أن الشخصيتين تظهران جانبين مختلفين في شخصيته، وقال أيضا « براند هو أنا في أفضل لحظاتي.» وبعد ذلك يمكن للمرء أن يرى بير جنت هو نفسه في أسوأ اللحظات.

المسرحية تتحدث عن بيرجنت الذي يعتبر الشخصية المركّز عليها في النص بكامله. كان يسترسل في كلامه، يتباهى ويتحدث وأغلب ما يقول عبارة عن كذب وخيال حرّ... عايش أشياء مدهشة، امتطى الأيل فوق جبال ياندنيجن (التي تسمى اليوم بسيجن)، خطف عروس أمام أعين الحضور في حفلة عرس ولاذ بالفرار معها إلى الجبل. التقى بدوفرجوبن في عمق الجبل، كان ملك الحريم في الصحاري، كان ينادى بالقيصر المجنون، وهو الوحيد الذي نجا من غرق السفينة وكان يضاجع أغلب النساء التي يقابلها. في سياق المسرحية يلتقي بشخصيات ومخلوقات مختلفة، كلهم يجعلون بير جنت يتفاعل بطريقة أو بأخرى، يجبر على التفكير من يكون وماذا يريد في حياته. لكن بيرجنت لم يزدد ذكاءه من حديثه مع الأشخاص الذي كان يلتقي بهم. في الواقع لم يكن يستمع لما يقولون. كان مشغول للغاية بنفسه وبمصالحه. كل الوقت كان يفرّ من المشاكل. والأهم من ذلك كان يهرب من نفسه.

ما يجعل بيرجنت مضحكا هو انتقاله من الخيال إلى الواقع. من المستحيل معرفة شخصية بير كيف يفكر بداخله وماذا يرى من حوله. لكن رغم ذلك، كل ما يحدث هو ما يعيشه بير، سواء نسمي ذلك واقعا أو خيالا. بير أناني جدا، رغم ما يفعله يجب أن يكون أفضل بالنسبة له. يستغل ويخذل واحدا تلو الآخر. وينتقد نفسه في الحالات الصعبة. يبدوا بارد المشاعر ،ساخرا، ماكرا ، داهية ومولعا بالتآمر. من الصعب أن ترى أحاسيسه الداخلية.

لكننا نعرف أنه يعيش حياة غنية، كما أنه حكواتي جيد ورائع. كلّ من المحتوى وما يقوله والطريقة التي يروي بها، مثيرة جدا، الشيء الذي يجعل جمهوره يفتتنون بالاستماع إليه وهذا بالتأكيد يعني أن له مشاعر.انسان من غير مشاعر لا يمكنه أن يروي بطريقة جيدة. رغم أن المستمعين إليه ينادونه بهذا وذاك، يستمعون له طالما أنه يتحدث. بير يعرف أن له لغة وجاذبية تتيحان له أن يأسر الجمهور. هو فنان مسرحي وبارع أيضا. والشخص الذي يستطيع أن يروي، نعرفه جميعا. كلنا التقينا بالحكواتي بير جنت.

ربما يكون من الطبيعي أن نقارن اليوم بين بير جنت بفنان مشهور، كوميدي متمكن أو بالأحرى ممثل. يوجد في كل الدول ممثلون يمكنهم أن يستقطبوا آلاف المشاهدين

ويجعلونهم يتفاعلون وينتظرون الجواب التالي.

مثل هذه الشخصية هو بيرجنت، الذي يستطيع أن يحرك الجمهور ويجعلهم يتفاعلون بالطريقة التي يروي بها حكاياته إليهم. القصص التي يرويها ليست حقيقية. لكن بالنسبة لبير هي حقيقية. بالنسبة لكل من بير والجمهور يعتبرون ما يشاهدونه جزءا من الحقيقة في تلك اللحظة التي تروى إليهم فيها القصة. مثال لذلك، أثبت بير قدرته على فنّ سرد القصة حين يروي كيف مرة يخدع الشيطان داخل جوزة. قصة يقتبسها بير (وابسن) من اسطورة شعبية بعنوان الشيطان داخل الجوزة. عندما تبدأ الحكاية، يقف بير وسط حشد من ضيوف العرس. بل لم يكن مدعوا للعرس. لكن الناس تجتمع من حوله، تقدّم له البراندي وتطلب منه أن يروي.

جماعة، آخرين (مشكلين حلقة حوله)

بيرجنت

في الصباح --!

آخرين

لا، الآن، في هذه الليلة!

فتاة

بير، هل يمكن أن تستحضر الأرواح؟

بيرجنت

أستطيع استدعاء الشيطان!

رجل

جدّتي باستطاعتها فعل ذلك قبل ولادتي!

بيرجنت

كذاب! أستطيع أن أفعل ما لا يستطيع غيري فعله.

استحضرته ذات مرة داخل جوزة.

كانت الجوزة مخترقة بالدود كما أرى!

كثيرون (يضحكون)

هذا سهل تخمينه!

بير جنت

لعنَ وبكى وأراد أن يرشيني بشتى الطرق.

واحد من المجموعة

لكن، هل كان عليه أن يدخل؟

بير جنت

بالطبع، كبرت الفتحة بإسفين.

آه..! إن سمعته يهدر ويتذمر!

فتاة

فقط فكر!

بيرجنت

كان يئز تماما مثل طنّانة.

الطفلة

هل مازلت تحتفظ به داخل الجوزة؟

بير جنت

لا، الشيطان طار إلى حال سبيله.

كان خطؤه أن الحداد حمّلني فعلته

طفل

بالتأكيد.

بيرجنت

ذهبت عند الحداد، توسلت إليه

أن يكسر لي قشرة الجوزة.

فوعدني بأن يفعل؛

ووضعها على السندان
ولكن آسلك رجل قاسي
ويودّ الآن أن يستخدم المرزبة باستمرار.
صوت من الحشد
هل قتل ذلك الشيطان القبيح؟
قاتل كرجل
لكن الشيطان تجمّع، وانطلق كالنار
عبر السقف وحطم الجدار
كثيرين
والحدّاد؟
بير جنت
وقف ويداه محروقتان.
ومنذ ذلك اليوم لم نعد أصدقاء.

موضوع مهم في بيرجنت وهو ماهية أن يكون الإنسان على سجيته. بعد أن سافر في جميع أنحاء العالم، واكتسب خبرة لأشياء مدهشة واحدة تلو الأخرى، رجع بير إلى الوطن فقط لكي يكتشف أنه لم يستطع أن يكون نفسه، كما أنه لم يستطع أن يعيش بالطريقة التي يجب أن يعيشها رغم القدرات والتسهيلات التي توفرت لديه منذ ولادته. لقد ضيع حياته. فقط شخص واحد الذي كان يؤمن فعلا ببير جنت، هي سولفايج التي جلست في البيت وانتظرته طوال الحياة. لم يكن إبسن يعتقد أن بير جنت ستعرض على المسرح، لذلك لقبها «بالشعر الدرامي» وليس مسرحية. لكن الذين يعملون في مجال المسرح لاحظوا بسرعة كل الإمكانيات التي يمكن أن تقدم هذه المسرحية الجديدة. كانت مسرحية بير جنت حلم كل مسرحي أن يمثلها ومازال الأمر كذلك حتى الآن.

الناقد الدانماركي المشهور كليمنس بيترسن، لم يحب مسرحية بير جنت. رفض كل العمل لأنه حسب رأيه يفتقد المثالية ويحتوي على ألغاز فارغة. غضب إبسن وكتب رسالة إلى بيورنسن: « -- كتابي عبارة عن شعر، وإن لم يكن الآن سيكون ذلك لاحقا.

مفهوم الشعر في بلدنا النرويج سوف ينحني بعد هذا الكتاب.»

هذا يفسر أن إبسن يعرف أنه كتب عملا ذا شأن كبير.

في مسرحيته كان إبسن يريد أن يظهر كيف كان النرويجيون، لذلك لم يكن يعتقد أن الناس من الدول الأخرى غير النرويج سيتفاعلون مع المسرحية أو يفهمونها. لكنه كان مخطئا في اعتقاده. على الأرجح أن مسرحية بير جنت لابسن عرضت في دول كثيرة. وهذا يعني أن الناس من دول أخرى رأوا أنفسهم في شخصية بير جنت. فبير جنت ليس نموذجا نرويجيا كما اعتقد ابسن. في الواقع أن إبسن استطاع أن يعطي لشخصية بير نموذجا متواجدا لكل الناس.

كُتبت بير جنت على شكل أبيات شعرية، الى حدّ ما على شكل سجع. قد يعتقد المرء، حين تعرض المسرحية اليوم أنها مصطنعة. لكن الأمر ليس كذلك. مع ممثلين مقتدرين متمكنين سيكون النص عذب ومعاصر. كما الأمر مع مسرحيات شكسبير. وكأن اللغة بسجعها هو الذي يدفع بالأحداث الى الأمام.

كانت تلك المرة الأخيرة التي استعمل فيها إبسن أسلوبا شعريا في مسرحياته. في مسرحية براند وبيرجنت أظهر إبسن تمكنه من كتابة المسرحيات على الطريقة التقليدية. وأكثر من ذلك، أظهر نفسه أنه رائد. بالنسبة للكثيرين أن مسرحية براند وبيرجنت أفضل ما كتب ابسن. وهذا ليس غريبا لأن هاتين المسرحيتين مفعمتان بطاقة كبيرة وكأن كل ما كان محبوسا بأعماق إبسن سينفجر مرة واحدة.



■ في الطريق إلى شيء جديد



Henrik Ibsen

All or Nothing

بعد ذلك سيصل الابن سيغورد إلى سن الدراسة. يرى إبسن أن ابنه يجب أن يتعلم في مدرسة بها انضباط صارم أكثر من المدارس الإيطالية. لذلك قررت العائلة أن تعود إلى الوطن النرويج. في صيف ١٨٦٨ بدأوا رحلتهم شمالا واستغرقت العطلة بضعة أشهر في جبال الألب، وبعدها سافروا إلى ميونيخ ثم إلى دردسن. لكنهم لم يستمروا في رحلتهم. مازال الأمر بالنسبة لابسن صعبا للقاء أبناء جلدته. يحتاج إلى مسافة بعيدة من وطنه حتى يستطيع الكتابة.

عاشت العائلة في دردسن سبع سنوات. في تلك الفترة لم يكتب إبسن بكثافة كما كان يفعل في روما. رغم أنه أنهى المسرحية الكبيرة الإمبراطور والجليلي. كان يبدو كما لو أنه يتأمل ويستجمع قوة للسنوات القادمة حيث سيقف كبطل. قد يكون الأمر أنه متعب ويشعر بفراغ بعد كتابة براند وبيرجنت. لم يعد يرى العدد الكبير من الفنانين في الوقت الذي كانوا يعيشون في دردسن.

وبعدها بدأ يحنّ إلى رفقتهم في فترة عيشه في روما.

السنوات في درسدن أصبحت صعبة بالنسبة لسيغورد. ألمانيا وفرنسا في حرب، وسيغورد كما والديه يدافعان عن فرنسا، مما جعله يتضايق من رفقاء المدرسة. كان أيضا ينزعج لأنه كان يرتدي ثيابا مخيّطة. كغيره من النرويجيين الذين يعيشون في الخارج، لقد كان إبسن يحنّ إلى الطبخ النرويجي. كان يطلب من ضمن الأشياء الأخرى أن يرسل إليه سمك الحدوق فترة عيشه في درسدن. يأتي بالسمك من البريد، وتأكله العائلة في حين تشعر بالحنين إلى الوطن القديم.

في جبال الألب خلال العطلة الصيفية راودت إبسن أفكارا لمسرحيته القادمة. بدأ يكتب بسرعة بمجرد ما استقر بشقته الجديدة. كانت اتحاد الشبيبة أول مسرحية كوميدية له. كتبت على شكل نثر، وتعالج القضايا اليومية المعاصرة. حاول هنريك أن يجعل الكلام في المسرحية طبيعيا بقدر الإمكان، وكأنه حوارا واقعيا.

اتحاد الشبيبة مسرحية كوميدية، تذكرنا تقريبا بالأوبرا الصابونية على شاشة التلفزيون بكثير من التعقيدات والمؤامرات. في عصر إبسن كانت مسرحية اتحاد الشباب تعرض أكثر من باقي مسرحياته، بينما اليوم لم تعد تعرض على المسرح تقريبا. قياسا على ما كان سيكتبه بعد ذلك في وقت قريب، لم تكن المسرحية مؤثرة سيكولوجيا على وجه الخصوص. وهذا ليس خطيرا أو مقلقا. علاوة على ذلك، أن المحتوى له ارتباطا وثيقا بالظروف السياسية في النرويج آنذاك. لم تكن المسرحية عالمية كما الأمر مع براند وبير جنت. ولم تعالج الصراعات الأبدية. كما أن شخصيات المسرحية لم تعرض بشكل يجعل المشاهدين يتعرفون على أنفسهم مرة أخرى على مستوى وجودي وبشكل أكثر عمقا.

بيورن ستيارنا بيورنسون شعر بإهانة شديدة، إذ أحسّ بأنه قد تمّ تشخيصه بشكل مهين في المسرحية. كما أن هناك سياسيين نرويجيين أحسوا أنهم عرضوا في المسرحية بطريقة تثير السخرية، من بينهم سياسي الفلاحين أولا جابرييل أويلاند، ورجل اليسار يوهان سفيردروب.

عندما عرضت المسرحية في كريستيانيا، قوبلت بصياح من استهجان. مما جعل مدير

المسرحية يقف على خشبة المسرح ليهدئ من صخب الجمهور. مباشرة بعد نهاية المسرحية، بدأ الشجار داخل القاعة، وعندما انطفأت الأضواء وأصبح الظلام دامسا، غادر الجمهور المسرح. في المساء الثالث أصبح الأمر أكثر سوءا. لكن إبسن لم يهتم بالأمر، على العكس من ذلك، يبدو وكأنه كان مبتهجا لذلك الاهتمام. عرضت المسرحية أيضا في مسرح كوبنهاجن وستوكهولم. الكثيرين أحسوا أن المسرحية هجوم عليهم، لوقفتهم السياسية الراديكالية. أما المحافظون فقد اعتقدوا أن إبسن أصبح حليفهم. لكن الأمر لن يكون كذلك. كما هو الحال دائما، طلب إبسن أن يكون خارج السياسة الحزبية.

قيل أن مسرحية اتحاد الشبيبة تجري أحداثها في مسقط رأس إبسن بمدينة شيين، تماما كما قيل بعدها عن مسرحية أعمدة المجتمع التي تجري أيضا أحداثها في مدينة غريمستاد. من المؤكد أن إبسن فكر في هذه المدن حين كتب مسرحياته. وهكذا الأمر مع باقي الكتاب أنهم يفضلون اختيار منطقة معروفة لديهم حين يكتبون، هكذا يتخلصون من العمل الكبير في خلق مشهد لنصوصهم.

عندما يختارون صورة منظر طبيعي معروف، يعرفون أين تقع المنازل وإلى أين تؤدي الشوارع. يعرفون أين ترسو السفن، يعرفون أين يعيش الميسورون وأين بعيش الفقراء. رغم أن هذه الأشياء ربما لم تكن مذكورة في النص، إلا أنه مهم للكاتب أن تكون لديه صورة أساسية عن المشهد وعن المجالات التي يتحرك فيها الناس.

اختار إبسن بصعوبة شيين وغريمستاد لأنه يريد أن يقول شيئا عن هاتين المدينتين بالذات. من المحتمل أنه أختار هاتين المدينتين نموذجا للمدن الصغيرة النرويجية. يريد أن يظهر كيف هي تسير المواضيع التي عالجها في كلا مسرحيتيه في تلك الأماكن بالنرويج.

بعد العرض الأول لمسرحية اتحاد الشبيبة استدعي لبضعة شهور إلى ستوكهولم واحتفل به ككاتب في طريقه إلى الشهرة. شارك في مناسبات عشائية لا تحصى حيث التقى هناك بفنانين وسياسيين ونساء جميلات.

سيستدعى أيضا إلى قصر الملك حيث سيتوّج بوسام ملكي. وبعد بضع سنوات

سيحصل على وسام مماثل في الدنمارك، وسام دانوبروغس. كان إبسن حقا فخورا بهذه الإنجازات وكان يحمل الوسامين في حياته اليومية وفي الحفلات لكي يرى الكلّ كيف أصبح مشهورا. كما كان يحملها حين كان سيأخذ صورة أو سترسم له لوحة. الكثيرون كانوا يرون أن الأمر مضحكا حين أن هذا الكاتب المنتقد للمجتمع فخورا بذلك الامتياز الذي قدمته له الحكومة.

بعد إقامته في ستوكهولم، سيستدعى لرحلة إلى مصر (كممثل للنرويج) لكي يرى افتتاح قناة السويس. ذلك كان حدثًا سياسيًا عالميًا. هناك سيحصل على وسام المجيدي التركي. في ١٨٧٣ حصل على وسام القديس النرويجي سانت أولاف. وبعد سنتين سيحصل على «الدكتورا الفخرية للفلسفة» من جامعة أوبسالا وهو الذي لم يحصل في حياته على شهادة الباكالوريا.

كان يتمنى في بقية عمره أن ينادى بالدكتور ابسن. كالمعتاد كانت زوجته بعد ذلك تناديه الدكتور. سابقا كانت تناديه ابسن، ولم تناديه قط باسمه الأول هنريك. بينما إبسن كان يناديها الصقر أو القطة.

في عام ١٨٧١ صدرت أعماله الشعرية التي استغرق في كتابتها خلال عشرين سنة. استغرق إبسن وقتا طويلا ليجد القصائد التي ستدرج مع المجموعة الشعرية للنشر، و لم يدرج عديدا من القصائد التي اعتبرها ليست جيدة بالقدر الكافي. بعد ذلك كتب القليل من الشعر.

كتب إبسن العديد من القصائد الجيدة. ومن القصائد التي تستحق القراءة في السهول، «تريه فيغن» ، ورسالة بالون إلى سيدة سويدية، ورسالة بأسلوب سجعي وغيرها الكثير، وليس آخرا القصيدة « اختفت»

اختفت

آخر الضيوف

أوصلناهم إلى البوابة

ودعنا البقية

رياح الليل تغزو

في ثنية القفار

يمتد بحر وبيت

حيث نغمات عذبة

تسكرني نشوتها

كانت فقط حفلة

قبل سواد ذلك الليل

كانت فقط ضيفة

والآن قد رحلت

كشاعر ليس مبدعا كما هو الأمر مع المسرحي ابسن. لكنه كان جيدا في ايجاد السجع، وشعره يتدفق بسهولة ، مرهف للسمع. كشاعر غنائي فهو من الواضح تأثر بالآخرين، يوهان سيباستيان ويلهافن وآدم ولنشليغر.

في غضون عقد من الزمن سيعيد النظر في بعض أعماله التي أبدعها في سن شبابه، كاتالينا و الليدي انجر وعيد في سولهواج وملهاة الحب. هذا لا يعني أنه خجل من مسرحياته الأولى. أو ربما كان الأمر هو حين أصبح مشهورا أراد أن يحسن منها.

في عام ١٨٧١ بدأ جورج براندس محاضرات غنية في جامعة كوبنهاجن. بعنوان «الاتجاه السائد في أدب القرن التاسع عشر» . يعتقد براندس أن الأدب في بلدان الشمال من الطراز العتيق، وأن الكتاب ما زال يكتبون بالطريقة التي كان يكتب فيها في الفترة التي كانت تسمى بالرومانطيقية. أيضا يعتقد براندس أن الشعر الجديد يجب أن« يضع المشاكل قيد المناقشة.» من ضمن المشاكل يقول براندس أن الشعراء يجب أن يكتبون حول المرأة ومشاكل الزواج، والدين والمشاكل الأخلاقية والإقتصادية. أ

تأثر إبسن كثيرا بالآراء حول مسرحية براند. وتابع التحدي. خصوصا أن أولى مسرحياته كانت تعرض داخل إطار حيث المجتمع الخارجي يؤثر عن العمل. بعض

مسرحياته تنتقد بشدة المجتمع القائم وأولئك الذين يقررون.

لكن أولا عليه أن ينتهي من مسرحية خَطَّطَ لها لسنوات عديدة منذ أن جاء إلى روما. وهي مسرحية قيصر والجليلي. في عدة مناسبات قال إبسن أنه يعتبر هذه المسرحية من أهم أعماله. ولكن لا يبدو أن هناك العديد من مخرجين المسرح الذين اتفقوا معه في ذلك، لأنها نادرا ما كانت تعرض. لكن ربما القصد لم يكن كذلك، لأن الأمر كان نفس الشيء كذلك مع بير جنت وبراند، هذه المسرحية كتبت للقراءة لا للتمثيل.

إذا كان للمرء أن ينجز عملا مسرحيا من غير حذف، ستكون مدة المسرحة من تسع ساعات إلى عشرة. تم أول عرض لأجزاء من المسرحية في عام ١٨٩٦، في لايبزج. في النرويج عرض الجزء الأول من المسرحية في ١٩٠٣. في أيام عام (٢٠٠٢) يقدم الراديو نسخة مدتها ست ساعات.

إذا كان ينبغي لأحد أن يقرأ المسرحية كلها، من الأجدر أن يشاهد المسرحية تعرض في الهواء الطلق وليس على خشبة المسرح. تجري الأحداث في الإمبراطورية الرومانية في سنة ٣٥١ حتى ٣٦٣ بعد الميلاد. يتحدث الموضوع عن الصراع بين المسيحية والوثنية، وكذلك عن الثقافة اليونانية القديمة.

رغم أن الإمبراطور والجاليلين مكتوبة نثرا، فهي أكثر ارتباطا بمسرحية براند وبير جنت، من مسرحية اتحاد الشبيبة. يبدو وكأن إبسن يحاول توحيد الشخصيتين براند وبير جنت، الشخصية الصارمة والأخرى العفوية. الشخصية المسؤولة والأخرى الغير مسؤولة.

الآن إبسن في منتصف حياته المهنية ؛ اثنتى عشرة مسرحيات قبل الإمبراطور والجليلي واثنتى عشرة أخرى بعدها. من الآن فصاعدا سيكتب على وجه الحصر مسرحيات تتحدث عن مواضيع العصر. بيورنسون أيضا يحمل نفس الأفكار وقد سبق أن كتب في ذلك النوع من المسرحيات.

يمكننا أن نقول أن إبسن مؤسس المسرح الحديث ، والذي سوف يتم تطويره في وقت لاحق من قبل أوجست ستريندبرغ، برتولت بريشت، يوجين أونيل ولارس نورين. في عصرنا، نلاحظ أن الكاتب المسرحي النرويجي جون فوس تأثر بإبسن. كما

أن المخرج السويدي ، ومدير المسرح انجمار بيرجمان تعلم الكثير من إبسن.

لكن استغرق الأمر وقتا قبل أن يجد إبسن كيفية القيام بذلك. عمل لمدة أربع سنوات مع مسرحيته المقبلة ؛ أعمدة المجتمع، لكن بعدها كان في الطريق الصحيح للعثور على شكله الجديد.

في عام ١٨٧٤ ذهب في زيارة إلى النرويج، عشر سنوات مرة منذ كان في وطنه آخر مرة. يقول عندما أبحر به المركب الشراعي في خليج كريستيانيا، « حرفيا وبدون زخرفة أنه شعر بشجن ولوعة» مكث إبسن في المدينة شهرين. لاقى اطراء ومديحا في المسرح عندما كان موجودا في مسرحية كوميديا الحب، التي لم يسبق أن شاهدها معروضة كما الأمر مع مسرحية اتحاد الشبيبة.

في كلمة له توجه فيها بالشكر للطلاب لاستقباله بحفاوة. يقول من بين أشياء أخرى أبيات من شعره:

وماذا يعني ذلك: أن تكتب ، مهمّ أن ترى، ولكن تذكر، أن ترى بطريقة بحيث الملاحظات التي يحصل عليها المتلقي، كما قالها الشاعر. لكن مثل هذه الملاحظات والاستقبالات ممكنة فقط إن جرّبت. وهذه الفكرة من تجربة المرء الشخصية، هي بالضبط سرّ الكتابة في العصر الحديث. كل ما كتبته في السنوات العشر الأخيرة أحسستها روحيا بنفسي. لكن ليس هناك كاتب يمرّ من تجارب وهو معزول. ما يمرّ به من تجارب، أيضا يمرّ بها معه شعبه المعاصر. لأنه إن لم يكن كذلك، ما الذي سيجعل الجسر بين المبدع والمتلقي.

في العديد من العطلات الصيفية كانت العائلة تقضي إجازتها في بيرشتسجادن في بافاريا. وبعد سنة قام بزيارتهم الكاتب «يوناس لي» مع زوجته. يقول هذا الكاتب عن نزهات إبسن اليومية، «... هناك يمشي بخطواته الصغيرة والحذرة، يتجول في أقرب مشارف القرية المجاورة.» بمجرد ما تظهر عربة من بعيد، يخرج إبسن من الطريق حتى تتجاوز العربة المكان ويهدأ الغبار. يتابع «يوناس لي» قائلا:

سحب بطريقة تلقائية، منديل الحرير الذي كان مثبتا في جيب الصدر اليسرى، مسح نظارته وثناها مرة أخرى، وتابع المسير ....بأناقة ووسوسة، على الرغم من قبعته

الرياضية الخضراء، التي اشترى على الفور عقب وصوله والتي تبّث فيها ريشة ديك عريضة كانت تنوس في كل خطوة من خطواته. »

من الواضح زميله وصديقه الحميم يعتقد أن إبسن كان شيئا ما مضحكا. وهناك آخرون كثيرون وصفوا إبسن بطريقة مماثلة. رجل قصير، مزهو بنفسه وشديد التدقيق. كان طوله تقريبا ١.٦٠ ، كما كان يرتدي قبعات طويلة وأحذية عالية الكعب ليبدو أطول قامة مما كان عليه.

في جميع الأماكن التي كان يعيش فيها، كان يكرّس الكثير من الوقت للنزهة، في روما، درسدن، ميونيخ وكريستيانيا. وكذلك في الأماكن التي كان يذهب إليها غالبا للكتابة في فصل الصيف، كان يخرج للتنزه في أريسيا بإيطاليا(حيث كتب مسرحية براند)، إيشيا وسورنتو في إيطاليا كتب (مسرحية بير جنت، ومسرحية الأشباح) أمالفي في إيطاليا كتب (بيت الدمية)، جوسنساس في ألمانيا كتب (البطة البرية). قضى إبسن وقتا قصيرا لكتابة المسرحيات. لكن قبل أن يبدأ بالكتابة، تمرّ شهورا وأحيانا نصف سنة من غير أن يكتب شيئا، لكنه كان يمشي ويفكر في المسرحيات.

عادة يكتب مسرحياته ثلاث مرات، من أولها إلى آخر ملاحظة. وفي كل إعادة يغير العمل كما الأشخاص.

في مقابلة يتحدّث إبسن حول الأسلوب. يقول حينما يكتب المسودة الأولى، يعرف جيّدا تلك الشخصيات الأدبية وكأنه التقى بهم في رحلة عبر السكك الحديدية. بعد المسودة الثانية يعرفهم وكأنه سيقضي معهم شهرا في منتجع على البحر. استوعب ملامح شخصيتهم و شيئا من خصوصياتهم. بعد المسودة الثالثة، يعرفهم وكأنه عاش معهم طيلة الحياة، أصبحوا أصدقاءه الحميمين.



■ إبسن وجد الشكل الذي يرتضيه



Henrik Ibsen

All or Nothing

في عام ١٨٧٥ انتقل إبسن مع عائلته إلى ميونيخ. كانوا يشعرون بالارتياح هناك أكثر. لم تكن ميونيخ ألمانية جدا كما الأمر مع درسدن وكانت توحي أكثر بمدن جنوب أوروبا.

حين كانت عائلة إبسن تسكن هنا، كتب مسرحية أعمدة المجتمع. اعتبرت هذه المسرحية أولى مسرحياته المعاصرة. وهنا تجمهرت شخصيات مختلفة من النساء حول الشخصية الرئيسية الذكورية. بدأ إبسن فعلا اهتمامه بمكانة المرأة في المجتمع، مجتمع حيث كل القرارات خارج المنزل ... وأكثرها في المنزل .... تؤخذ من قبل الرجال.

للمرة الأولى منذ كانت يورديس في محاربو هيلجيلاند، نلتقي بنساء مستقلات وقويات - تقريبا عصريات. كل من لونا هيسيل ودينا دورف في أعمدة المجتمع هن نوع من النساء اللواتي سيكن في المسرحيات التي سيكتب لاحقا.

حين كانت الأسرة تعيش في درسدن وميونيخ، كانت تزورهم كاميلا كوليت في كثير من الأحيان، الكاتب النرويجي الشهير وامرأة القائلة بالمساواة والتي كتبت الرواية الأولى « أمتماندنس داترا» ناقشت مع إبسن وضعية المرأة ، وفي كثير من الأحوال شعرت كوليت بالضيق من وجهات نظره القديمة . لكن إبسن كان معروفا، حيث كان يجزم بآراء غير آراءه لكي يستفز الذي يتحدث إليه. يبدو أنه يستخدم أسلوبا في مناقشاته وحواراته مع الآخرين لكي يرى شخصياته الأدبية بوضوح. لأنه حين كانت كاميلا كوليت في زيارتها له، كان بصدد إنهاء مسرحيته الجديدة.

في محادثة مع الكاتب جون بولسن قال إبسن ذات مرة : «الرجل من السهل دراسته» ، لكن مع المرأة، فلا يمكن للمرء أن ينتهي أبدا. إنها بحر، وإن كان عميقا فلا يستطيع المرء أن يسبر أغوارها.

منذ ذلك الوقت بدأ إبسن يقضي كثيرا من الوقت لفهم ذلك العمق. والواقع أن الرجال في معظم مسرحياته سخيفون وركيكون مقارنة بالنساء. رجاله لديهم خطط كبيرة وأفكار لم يتمكنوا من تحقيقها. رغم أن النساء أيضا يفشلن في حياتهن. إلا أننا نحس باحترام كبير لهن. يبدو أنهن أكثر واقعية، ولديهن المزيد من التواصل مع حياتهن العاطفية.

أعمدة المجتمع لا تعالج القضايا المستمرة. كانت ترتبط ارتباطا وثيقا في قضايا الوقت التي كتبت فيه. وهذا هو أحد الأسباب الذي جعل المسرحية لا تعرض كثيرا في يومنا. لكن إبسن واصل تطوير الأسلوب، الطريقة التي بدأ بها « اتحاد الشبيبة»، تتميز أشخاصها من خلال اللغة، عامل يتحدث على نطاق أوسع من مالك الترسانة البحرية، امرأة تتحدث بطريقة مختلفة عن الرجل. عمل إبسن جاهدا في جعل اللغة بين السطور تبدو طبيعية.

على النقيض من أعماله الدرامية المعاصرة «ينتهي الأمر بشكل جيد»، بمعنى أن الشخصية الرئيسية، القنصل برنيك، يعترف بكل أخطائه ويقرر أن يبدأ حياة جديدة. جعل إبسن (الصدق) ينتصر. كانت المسرحية أيضا تحتوي على قائمة أدوار طويلة. تسعة عشر شخصا، الشيء الذي جعل العمل غير واضح. ربما من المناسب أن ننظر

إليها على أنها نوع من التمرين، لكن المسرحية أحدثت نجاحا كبيرا في ذلك الوقت.

هكذا كانت بير جنت إقصاء للدراما التقليدية، وكانت دعائم المجتمع تعتبر تمهيدا للدراما الحديثة.

في المسرحيات الإحدى عشرة القادمة ، كتب عن جوانب مختلفة، عن الأسرة البورجوازية. كتب عن كل الأكاذيب، عن كل الأخطار التي تبقى مستورة في الأسرة. ومعظم الشخصيات الرئيسية في هذه المسرحيات الحديثة ليست لهم فرصة لبدء حياة جديدة، لأن ما اقترفوه كان صعب الإصلاح، وليس هناك من إنقاذ.



■ روما – ميونيخ (١٨٧٨- ١٨٩١) بيت الدمية



Henrik Ibsen

All or Nothing

في صيف ١٨٧٨ حصل سيغورد على شهادة الثانوية العامة بدرجة امتياز. بعدها رجعت العائلة إلى روما، حيث كان إبسن يكتب جزءا من «بيت الدمية». بدأ سيغورد دراسته في الجامعة بروما.

هذه المسرحية جعلت إبسن يقوم ببداية جدية لتغيير الأدب العالمي وبضربة واحدة يصبح مشهورا في جميع أنحاء أوروبا. وفي كثير من الأماكن أصبح عرض المسرحية الجديدة فضيحة.

حتى الأدوار الصغيرة (الأدوار الثانوية) مهمة دائما عند ابسن. يوجد في مسرحية الدمية فقط خمسة أشخاص يديرون العمل كله، الزوجان نورا وتورفالد هيلمر، صديق العائلة الدكتور رانك، صديقة قديمة لنورا السيدة ليندا ومدير القضية كروغستا. تجري الأحداث في غضون ثلاثة أيام، تبدأ صباح ليلة عيد الميلاد وتنتهي بثاني أيام عيد الميلاد

الثاني. خلال هذه الأيام القليلة تغيرت طبيعة الحياة لهؤلاء الأشخاص بشكل مفاجئ، وعندما انتهت المسرحية، لم يعد أي شيء مثلما كان، حصل تغيير بداخلهم، وخصوصا مع نورا. الذين شاهدوا المسرحية كانوا شهودا على ذلك التغيير خلال ساعتين من عرض المسرحية. وفي تلك الساعتين كان المشاهدين يتأرجحون في تعاطفهم مع كل شخصية إلى أخرى، لأنهم يجدون أنفسهم في تلك الشخصيات المختلفة بالمسرحية. وكثير من النساء وجدن أنفسهن في شخصية نورا. لذلك كانت ومازالت مسرحية بيت الدمية مسرحية خطيرة. لأنها يمكن أن تقود النساء لأتباع نورا كنمودج لهن ويتركن أزواجهن.

الأمر دائما تحدٍّ لرؤية إبسن إذا كان الممثلون جيدين في أدائهم. هناك بعض اللحظات حيث كل من في الغرفة يقف ويرتجف. يمكن للمتفرّج أن يندم أنه عرّض نفسه لرؤية مسرحية ابسن. بل يتمنى المرء أن يلزم البيت ويسترخي بمشاهدة برنامج تلفزيوني عوض أفكار تحمل معاني عميقة. مسرحية الدمية أصبحت محلّ نقاش ساخن في جميع أنحاء دول أوروبا لعقود عديدة من حين عرضها لأول مرة. ومازالت حتى الآن تناقش، بعد أكثر من ١٢٠ سنة في وقت لاحق. في بعض البلدان حيث المساواة بين الجنسين لم تحقق تقدما كما في النرويج، تعتبر بيت الدمية مثيرة للجدل ومسرحية خطيرة للعرض.

التغيير الكبير في بيت الدمية حصل مع نورا التي قرّرت أن تترك زوجها وأولادها. اكتشفت أنها لا يمكنها أبدا أن تعيش الخياة التي تمنت في حياتها الزوجية مع تورفالد. لم تعد تطيق أن تكون دمية مزخرفة وخادمة لزوجها. لم تعد تريد العيش على نمط النساء في عصرها. لكن هذا لا يعني أنها تلقي باللوم على تورفالد. بل على المجتمع الذي أسدل وثاقه عليها. تقول نورا إن المجتمع هو الذي يقرر، وإن الرجل هو الذي يقرّر وهو الذي يشرّع القوانين والأعراف التي على نورا أن تمتثل إليها.

أصبحت نورا بالنسبة لنساء كثيرات مثالا في النضال من أجل التحرّر والمساواة. في ذلك الوقت لم يكن للمرأة حتى الحق في الاقتراع.

ومع ذلك لم يكن يرى إبسن نفسه «كاتب قضايا المرأة». أكّد أنه كان خطابا عن قضية

إنسانية. وفي كثير من الأحوال أن زوج نورا، ثورفالد، كان مقيدا مثلها. هو أيضا كان منساقا لأعراف المجتمع. هو أيضا له دور يقوم به كزوج وأب ومعيل.

من السهل جدا أن نقول إن بيت الدمية تتحدث عن حقوق المرأة، وليس أكثر من ذلك. لو كان الأمر كذلك، لو ماتت المسرحية منذ سنوات عديدة. حينها تكون المسرحية دعاية أكثر من أن تكون فنّا. بل يمكن القول أن موضوع المسرحية هو حق من حقوق الانسان والالتزام لتعليم أنفسهم وليدركوا أنفسهم وفقا لذلك. وذلك ما كتب إبسن طوال الوقت.

جاء إبسن ليطوِّر هذه الطريقة التي كتبت بها المسرحيات ليجعلنا نحن المشاهدين نلقي لمحة على المنزل العائلي ونسمع حديثهم مع بعضهم. كل ذلك التصرف يتم عن طريق ردّ بحجة معاكسة.

ومسرحيات إبسن مكتوبة بدقّة، كلّ ما يقال، له معنى في الحدث. لم يكن هناك شيئ زائد. كان الأمر كما آلة حيث كل قطعة فيها مخترعا ومجهّزا بدقة، وعندما يتم تشغيل الآلة، كل شيء يكون فيها متناسبا وتعمل بدقة وبشكل جيد.

من المستحيل أن تتوقف. (يحظى إبسن بتقدير كبير من قبل عدد كبير من المخرجين النجوم في هوليود. وهم يدرسون كيف يربط مسرحياته سويا.) ومن خلال المشاهدين، نفهم نمط الحياة التي عاشوها ونرى شخصياتهم. كثيرا مما يدفع العمل الى الأمام في دراما إبسن المعاصرة، وهو الاعتراف الذي تظهر الشخصيات للقيام به. تتطور المحادثات بحيث الأكاذيب والتستّر تظهر خلال اليوم، وكل شيء ينتهي بالرعب والكوارث.

عندما تنتهي المسرحية ويسدل الستار، يبقى هناك دائما أناس تعساء على خشبة المسرح. وبعد انتهاء التصفيق وابتسامات الممثلين وتشكّرهم للحضور، يغادر المشاهدون إلى بيوتهم في ظلام الليل متسائلين ماذا سيحدث بعد ذلك مع تلك الشخصيات.

ماذا عن نورا؟ هل هي سعيدة بعدما صفقت الباب ورحلت وحيدة في ليل فصل ذلك الشتاء؟ من المؤكد أنها كانت تعيسة. رغم كل شيء، تخلت عن أطفالها وزوج

كان يحبها. لكن، هل هي أيضا سعيدة؟ يجب أن تكون كذلك. لقد اتخدت خيارا من داخل عميق في ذاتها، لأنّها لا يمكن أن تقوم بفعل شيء غير ذلك.

على الرغم من أن نورا تقول إنها غادرت لأن « الرائعة» لم تأت، من غير أن تفسر ما معنى «الرائعة». هل سترجع يوما إلى ثورفالد بعد التفكير خلال بعض السنوات؟

لم يكن إبسن يبحث عن محاكمة أحد، يريد فقط أن يظهر ماذا يحدث. يقول أيضا في إحدى المناسبات أن ندائي «هو أن تجيب »ابسن لم يتخذ الموقف على أنه خطأ أو صواب حين غادرت نورا زوجها وأولادها. لكنه يريد أن يظهر نورا ، هذه الشخصية الأدبية نورا بمفهوم الكاتب الدرامي هنريك ابسن، لم يكن هناك أي حل سوى الاستمرار في الحياة لوحدها.

ممثلة ألمانية هيدويغ نيمان_ رابي، رفضت أن تمثل النهاية كما كتبها ابسن. في ذلك الوقت لم يكن هناك شيء يسمى حقوق التأليف والنشر، لذلك كانت المسارح يمكن أن تغير من النص كما تريد. لمنع المسرح الألماني أن يدمّر النهاية. عرض إبسن أن يكتب نهاية جديدة. هنا يجبر ثورفالد نورا أن تذهب إلى غرفة الأطفال حين قالت له بأنها ستغادر البيت وتتركه. تبادلا جملا مع بعضيهما وترتمي نورا بتثاقل على الأرض. وكانت النهاية.

سمى إبسن تلك النهاية« العمل الوحشي البربري». ولم يكن هناك العديد من المسارح التي استخدمت تلك النهاية.

في خريف عام ٢٠٠٢ عرضت بيت الدمية في برلين. وهناك وضع المخرج نهاية جديدة تتناسب مع عصرنا، تنتهي المسرحية بإطلاق النار على زوجها.



■ أشباح



Henrik Ibsen

All or Nothing

مسرحيته القادمة ستكون كذلك أكبر فضيحة. تدعى أشباح. قبل أن تخرج المسرحية، أرسل إبسن رسالة إلى ناشره، فريدريك هيجل، حيث يحذّره: «أشباح ستكون إلى أبعد حدّ في بعض الدوائر مثيرة للانزعاج. ولكن يجب أن تكون هكذا. أن لم تثر ضجة، لم يكن من الضروري كتابتها. لكن أشباح كانت قنبلة موقوتة أكثر مما كان يتوقع ابسن..

أيضا في مسرحية أشباح، هناك شخصيات قليلة، السيدة هيلين ألفينج، ابنها أوسفالد، القسيس ماندرس، النجار انجستراند، والخادمة ريجينا انجستراند. وكذلك الحاجب وهو المتوفي ألفينج، زوج هيلينا وأب أوسفالد. رغم أنه توفي، إلا أنه يؤثر على كل ما يحدث في المسرحية. تجري الأحداث في منزل فخم بروزنفولد وفي أقل من أربع وعشرين ساعة.

تبدأ المسرحية ونعرف أن أوسفالد، الذي يعمل فنّانا في باريس، رجع إلى أهله. في نهاية المسرحية نعرف أن رجينا وأوسفالد إخوة من الأب، كما نعرف أن أوسفالد ورث مرض الزهري المميت من والده. الخادمة رجينا، التي وعدت بأن تذهب إلى باريس مع أوسفالد، ستغادر روزنفولد عندما تعرف أنها أخته من الأب. احترق الميتم الذي ستفتحه السيدة ألفنج. ستسوء حالة أوسفالد في فترة مرضه الأخيرة، وأنه يوشك أن يكون مجنونا. طلب من أمه أن تمنحه المورفين لكي ينهي حياته. كما جاءت به إلى الحياة يريدها أن تأخذه بعيدا عنها أو تمنحه إياها.

والشخص الذي فعلا فقد كل شيء، هي السيدة ألفيج. ستدرك أنها هي السبب في جعل زوجها ينجب طفلا خارج نطاق الزواج لأنها حرمته من سعادة الحياة وتحط اللوم على نفسها. فقط الآن اكتشفت أنه كان من الممكن أن تعيش معه حياة سعيدة وتتحمل أيضا ذنب إنجاب أوسفالد. ذنبها سبب ارتباطها برجل لا تحبه. لذلك لم تكن قادرة على مقابلته. كانت تخشى من شراسته ووحشيته. كانت فقط مهتمة بالحفاظ على المظهر الكاذب للزواج وتأدية الواجبات التي تعلمتها من أمها، خالاتها وصديقها القس ماندرس.

هل كانت ستعطي المورفين لأوسفالد حتى يموت، هذا ما لا نعرفه. كما جرت العادة، يترك إبسن المشاهدين يطرحون أسئلة مهمة وكبيرة. سئل إبسن من طرف الأديب وليام آرتشر (الذي ترجم إبسن إلى الانجليزية) عن السيدة ألفين إن ساعدت أوسفالد على الموت أم لا. ضحك إبسن وقال: «لا أعرف. يجب معرفة ذلك بنفسك. لا أريد أبدا أن أحلم في اتخاد قرار أسئلة صعبة.»

يبدو الأمر تقريبا عندما تسرد كل المآسي على النحو التالي، تصبح كثيرا من الأشياء الجيدة. ما يعرض على خشبة المسرح، فهو بعيد عن الكوميديا. يشعرالمشاهد بألم حينما يرى الشخصيات واحدة تلو الأخرى في طريقهم تدريجيا إلى التفكك. والسبب الذي يجعل المسرحية مؤلمة وليس مضحكة، أن إبسن بطبيعة الحال يعرف متى سيأتي بالإفشاء. يعرف كيف سيستخدم التقنيات الأدبية وكيف سيستعملها على خشبة المسرح. وتلك هي عبقرية إبسن ككاتب مسرحي.

واحدة من المسرحيات يعالج إبسن مواضيع مثل الزنا،الأمراض التناسلية ، وسفاح القربى والقتل الرحيم. لكن مسرحية أشباح أيضا تتحدّث عن الفرق بين البيئة في النرويج وبلدان جنوب أوروبا، والقمعية هنا في الوطن عكس الحياة السعيدة التي تعاش هناك. والزواج الذي يعتبر مؤسسة يتعرض للهجوم.

إنها ستكون فضيحة. أرجعت المكتبات مئات النسخ إلى دار النشر. الكثيرون لم يريدوا حتى الاعتراف باقتناء الكتاب. الناقد في الجريدة الصباحية يقول بأن هذا الكتاب لا يجب أن يوضع على مائدة في بيت مسيحي.

لم تجرؤ المسارح الثابتة في كريستيانيا، ستوكهولم وكوبنهاغن على عرض مسرحية أشباح. استغرق الأمر عامين قبل أن تعرض للجمهور النرويجي. كانت الممثلة السويدية أوجست ليندبرج ، التي جاءت الى كريستيانيا مع الفرقة المسرحية. لم تعرض قطّ في في مسرح كريستيانيا. العرض الأول كان في عام ١٩٠٠ ، سنة بعد افتتاح المسرح الوطني، عرضت المسرحية على مسرح ثابت في العاصمة بألمانيا وظلت المسرحية ممنوعة للعرض لعدة سنوات.

قدّمت مجموعة من الهواة الدنماركية والنرويجية المسرحية في شيكاغو بالولايات المتحدة للمهاجرين من الدول السكندنافية. كان تلك أول مرة تعرض فيها مسرحية إبسن على جانب المحيط الأطلسي.

جمع وليام آرتشر مجموعة من الاقتباسات من الجرائد الانجليزية عندما عرضت مسرحية أشباح في لندن لأول مرة. « المجارير المفتوحة، ووجود جروح مقرفة مع ضمادة ممزقة، عمل قذر يعرض علنا، حقل مستشفى بنوافذ وأبواب مفتوحة على مصراعيها .... هذه العصيدة من ابتدال وأنانية، خشونة وسخافة ... عرض منفّر ومثير للاشمئزاز ... عرض مريض وتخريبي، خطر على الصحة وتاريخ سيء ...»

حتى في النرويج تعرض الكاتب إلى انتقادات سيئة وبغيضة. لكن هناك من كانوا يساندونه. بيورن ستيارنا بيورنسن كان واحد منهم. وأملي سكرام كانت أيضا واحدة من الذين كانوا يؤيدونه. كان دعم بيورنسن على وجه الخصوص دفئا لابسن. كانت بينهما عداوة منذ أن نشر إبسن مسرحية اتحاد الشبيبة. على الرغم من ذلك كان من بين القلائل

الذين تحدّثوا علنًا بطريقة لطيفة عن مسرحية الأشباح. كتب إبسن في رسالة:« الشخص الوحيد الذي كتب بحريّة وجرأة وبطريقة جيدة عني، هو بيورنسون. جرأته تشبهه. في الحقيقة له عقل ملوكي كبير ولن أنساه أبدا.»

بعد وقت لاحق اكتشف أن مسرحية أشباح ينبغي أن تكون واحدة من أكثر مسرحياته عرضا. مرة أخرى ، سيكون إبسن متقدما بفارق كبير عن جمهوره. لكن ما الذي جعل مسرحية أشباح تؤثر على الجمهور اليوم؟ لماذا يفقد الجمهور بعض لهاثهم من قبل بعض الأسطر التي قيلت على خشبة المسرح؟ الجمهور يعرف انه مسرح ، ما يحدث على خشبة المسرح ليس من الواقع، انه فقط ممثلون يلعبون أدوارا. ولكن لا يزال يفقد المشاهدون التنفس في جميع أنحاء العالم.

جزء هام من العمل في المسرحية هو العلاقة بين الأطفال والآباء. وكل من يجلس في قاعة المسرح من المشاهدين مرّ من الطفولة، والعديد أيضا هم آباء وأمهات. علاقة الأطفال بالآباء والأمهات هو ما يسمى موضوع أبديّ في الأدب: هناك شيء يعرفه عنه الجميع في قاعة المسرح؛ أن لديهم وجهات نظر ومشاعر مرتبطة. وعندما يكون المرء جالسا في قاعة المسرح، يفكرّ بطبيعة الحال بطريقة لا إرادية، في أمه أو أبيه أو ابنه أو ابنته ، أو كلهم معا. كما يقارن المرء وضعيته بما يجري على خشبة المسرح.

لكن معاصري إبسن آنذاك لم يفهموا مضمون مسرحية أشباح. رأوا فقط الأشياء القبيحة التي لم يرد إبسن ذكرها بالاسم ، وبالتأكيد لا. لكن النقاد تناولوا كل شيء مهم في المسرحية.

لم يتم انتقاد مسرحية أشباح لأنها كانت مكتوبة بطريقة سيئة أو كان تمثيلها صعبًا على خشبة المسرح. انتقدت لأنها تتناول مواضيع لم يكن من المعتاد الحديث عنها ، ما نسميه بالمحرمات. كذلك النقد لم يوجه إلي إبسن الفنان وإنما إلى شخصيته كإنسان عادي. أصبح ينظر إلى إبسن كإنسان سيء مادام أتاح لنفسه أن يكتب عن مثل هذه الأمور. كل المسرحية ينظر إليها على أنها عمل شرير من جانب إبسن.

من الصعب معرفة إلى أيّ مدى أنّ النقد السّيء ونفوذ المعارضة يؤثر على فنان. لكن من غير شكّ أن ذلك أوقع انطباعا على إبسن لإساءة فهمه إلى أبعد حدّ. كان إبسن يريد

المناقشة والحوار. تمنى أن يقول للناس أنه ليس كل شيء كان جيدا في الجزء الخلفي من واجهة المنازل. تمنى أن يظهر ما رآه. كما تمنى بالتأكيد أن يقدم للجمهور مسرحية جيّدة وألاّ ألا يوصف من قبل الجمهور بالشر. من الصعب أن نتصور وضعا مماثلا اليوم.

هل هناك مثل هذه المحرمات اليوم؟ هل من الممكن أن نتصوّر فنانا يتعرض لانتقادات قوية من هذا القبيل كما تعرض إليها إبسن حين كتب مسرحية أشباح؟

لكن من هي هذه الأشباح التي تحدّث عنها ابسن؟ نحن نعلم أن إبسن في حياته قد تعرّض لأشباح. واحد منهم طفله الذي أنجبه مع الخادمة في غريمستا. شبح آخر كان أبوه الذي أفلس عندما كان إبسن صغيرا، والثالث هو تورمود كنودسن بورغيوردا الذي ربما كان على علاقة مع والدته ، وشائعات بعض الناس التي تقول أنه كان والد إبسن الحقيقي.

هيلين ألفينج تقولها بهذه الطريقة لصديق العائلة باستور ماندرز بعد أن اكتشفت أن ابنها لديه علاقة مع الخادمة: «عندما سمعت ريجينا واوزوفالد هناك ، كان كما رأيت أشباحا بالنسبة لي. لكنني أعتقد أننا كلنا أشباح تقريبا، أيها القس ماندرز. ليس ذلك فحسب ، ورثناها من الأب والأم ، الذين يلازمنا في خفايا أنفسنا: هناك أنواع متعددة من الآراء الميتة والمعتقدات القديمة وشيء من هذا القبيل. ليست حيّة في نفوسنا، لكنها رغم ذلك باقية فينا ولا نستطيع التخلص منها. فقط حين أتناول جريدة لتصفحها، يبدو لي أنني أرى أشباحا في جميع أنحاء الأرض. لابد أن يكون عددهم سميكا كما الرمل، أعتقد ذلك. ونحن مخلوقات الله الملتوية التي يرثى لها جميعا.»

يبدو الأمر وكأن مصير الشعب في أشباح هو مقدّر سلفا ؛ الأجيال قبلهم قررت كيف ينبغي أن تكون حياتهم. في جميع العائلات هناك أشباح، والأشباح الذين يأتون مرارا وتكرارا ، أبناء المدمنين على الكحول يصبحون هم أيضا مدمنين ، الأطفال الذين تعرضوا لسوء المعاملة ، يمكن أن يصبحوا هم أنفسهم مسيئين.

الكثير من المؤلفات الأدبية التي كتبت في ذلك الوقت حول هذه الطريقة في عرض الحياة. نسميها بالنزوع الطبيعي. في النرويج، كانت أملي سكرام ويوناس لي، النمادج

الأولى في هذا الاتجاه. هذا الكاتب الرائد الطبيعي في أوروبا، كان الفرنسي إيميل زولا. لكن إبسن كان فقط يزدري من زولا، وأعرب عن اعتقاده بأن الفرق بينه وبين زولا هو أن « زولا يغوص في أسفل المجاري ليستحم فيها بينما أنا أغوص لتنظيفها.»

حين يتعلق الأمر بالتأثير من الكتاب الآخرين، إبسن لم ينكر عليه ذلك أبدا. لكن زوجته كانت تقرأ كثيرا تطّلع على الأدب الجديد. وقد يكون من الجائز أنها كانت مستشارا له، لأنها كانت تلتقط له ما كان يجب قراءته. قال إبسن شخصيا أنه قرأ الكتاب المقدس -- «كان شديدا وقويا» -- والصحف. ولم يكن فقط يقلب صفحات الجرائد. بل قرأ بعمق معظم الأشياء ، من الاعلانات الصغيرة حيث شخص يريد بيع طاولة القهوة إلى الأخبار العالمية الكبرى. خيال إبسن وحسّه لمشاهدة الأحداث اليومية ، قد تكون الصحف فقط ما يحتاجها من مواد القراءة. ويبدو واضحا ؛ الصحف (التي كانت آنذاك السبيل الوحيد للحصول فيها على الأخبار) أعطى قراءة معمّقة وانطباعا قويا في كل يوم مما كان يتحرّك في ذلك الوقت. كلّ المواضيع التي تطرق إليها إبسن في الدراما المعاصرة، كانت تعالج أيضا في الجرائد. كما أن الصحف أيضا كانت تركز على مصير الإنسان. الصحفيين يكتبون الأحداث الواقعية وابسن يحولها إلى فنّ.

في مقال من سنة ١٨٨٢ كتب برانديس حول إبسن : «كان يبدو لي دائما أنه يمتثل على مبدأ غامض مع تخمر المستقبل في مراحله الأولى». هكذا الأمر مع الفنانين. لديهم حساسية، عبارة عن جهاز حسي يأخذ كثيرا مما يحدث. ولكن لا يكفي أن يأخذ الانسان كلما يرى، يسمع، يشم، يتذوق ويحس. لكي يسمى المرء فنانا عليه أن أن يكون قادرا على التعبير بطريقة يفهمها الناس. إبسن اختار المسرح ليفعل ذلك.

كافح إبسن سنوات عديدة لاختيار شكل الفن الذي يريد أن يقدمه. في سن مبكرة كان يريد أن يكون رساما، وتوجد له لوحات ليست سيئة على الاطلاق رغم أنها لم تكن ابداعية. لكن سوزانا كانت قاسية، تقول أنه كان كاتبا مسرحيا وليس شيئا آخر. إن كان سيصبح رساما كبيرا، لا نعرف ذلك. لكننا نعرف أنه كاتب مسرحي كبير. ربما يمكننا أن نشكر سوزانا لذلك.

أوزفالد في أشباح هو نوع من الذكور الذي استخدمهم إبسن في العديد من

المسرحيات. هناك شخص وعادة يكون فنانا ، وبالتالي يقع خارج المجتمع ؛ المهندس شيخ البنائين، المؤلف في أيلوف الصغير أو النحات «في عندما نحن نستيقظ نحن الموتى» أو غيرهم من الأشخاص مع أي من الأفكار المنحرفة؛ المشرف الطبي على حمامات البلدية الصحية في «عدو الشعب»، المؤرخ الثقافي أيلرت لوفبورغ في «هيدا جابلر »أو مدير بنك في جون غابرييل بوركمان.

النساء والفنانون والأشخاص ذوو الأفكار المنحرفة وربما الشباب الذين يتمردون ضد قواعد المجتمع – أولئك الأشخاص التي تثير اهتمام الكاتب الدرامي إبسن. هناك أناس يبحثون عن الحرية التي لا يستطيع المجتمع أن يوفرها. أو بعبارة أخرى : إن الحياة التي يعيشون فيها -- أو يحاولون عيشها -- لا مكان لها في ذلك الوقت في المجتمع كما الأمر في زمن ابسن. أو ربما هؤلاء الناس أيضا ليس لديهم مكان في مجتمعنا اليوم.

قبل عام من صدور أشباح عقد إبسن خطاب ألقاه والذي جادل فيه قائلا بأن المرأة يجب أن يكون لها حرّية الوصول إلى رابطة الدول الاسكندنافية في روما. الخطاب سلط الضوء على نفس بعض ما قيل أعلاه :

«إن الشباب لديهم هذه الغريزة الرائعة، والتي بطريقة لا إرادية يصيبون الشيء الصحيح. وهذه الغريزة بالضبط عند المرأة كما هي عند الشباب ومع الفنانين الحقيقيين.» لم أعد أخشى على النساء أو على الشباب كما على الفنانين الحقيقيين. لكن ما أخشاه فقط ذكاء رجل عجوز وسط أولئك الرجال بمسؤولياتهم الصغيرة وأفكارهم المحدودة، رجال باهتمامات تافهة وهموم صغيرة. هؤلاء الرجال يتكيّفون كلّيا مع أفكارهم وكل الإجراءات التي يتّخدونها ليست إلا لتحقيق بعض من أغراض لشخصيتهم الصغيرة.





■ إبسن السياسي



Henrik Ibsen

All or Nothing

ربما كل المقاومة التي تعرّض لها إبسن مع مسرحية أشباح واحدة من الأسباب التي جعلته يسمّي مسرحيته القادمة عدوّ الشعب. مسرحية عدو الشعب تتحدث عن طبيب وهو الدكتور ستوكمان. في منتجع صغير على شاطئ البحر. يكتشف أن مياه حمامات المنتجع متسممة. أول الأمر احتفل به لاكتشافه الأمر، لكن عندما فهم سكان المدينة أن المكان سينخفض دخله بسبب الحمام الذي يجب إغلاقه، فقد شعبيته واتهم بأنه عدو للشعب. كثيرون في ذلك الوقت كانوا يرون أن الدكتور ستوكمان صورة عن شخصية ابسن. وربما كان كذلك. ربما ليس كذلك. أو الاثنين معا.

مار تينيوس نيلسن، مدير مسرح داغمار في كوبنهاجن، أكّد في محادثة مع إبسن:

«وقال الطبيب (يقول إبسن) لقد قال إن الرجل الأقوى هو الذي يقف غالبا وحده».

إبسن : «انتظر لحظة. أين قلت ذلك؟ »

نيلسن : «في مسرحية عدو الشعب.»

إبسن : «أليس ستوكمان هوالذي قال ذلك؟»

نيلسن : «بلى - و.»

إبسن : «أنا لست مسؤولا عن كل هذا الهراء الذي أتى به».

في الوقت نفسه يقول في رسالة الى ناشره فردريك هيغل : «أنا والدكتور ستوكمان نتوافق بشكل ممتاز مع بعضينا في كثير من الأجزاء.»

لقيت عدو الشعب نقدا جيدا حينما صدرت. ومسارح العواصم السكندنافية الذين رفضوا كلهم عرض أشباح، يقفون الآن بالدور ليسمح لهم بعرض عدو الشعب. وذلك دليل قاطع على أنّ المسرحية الجديدة ليست خطيرة كسابقتها. في يومنا هذا لا تعرض كثيرا. عدو الشعب تذكرنا قليلا بأعمدة المجتمع، كلا المسرحيتين تحتويان على قائمة طويلة من الأدوار، كما أن المسرحيتين تحتوي على قليل من «الميلودراما العاطفية المثيرة.» ولا تحفر عميقا في النفس الإنسانية كما في بيت الدمية وأشباح. لكن هناك العديد من الممثلين الذين أحبوا واستفادوا من تمثيل دور الدكتور ستوكمان. من الصعب تحديد سياسة ابسن. يبدو وكأنه يتذبذب من رأي إلى آخراً في بعض الأحيان يظهر وكأنه مستعد لتدمير الحكومة ويبدو فوضويا. أحيانا أخرى يشجع الدولة للهجوم على الأفكار الليبيرالية والسياسيين التقدميين. لكن ربما ماكان يثير اهتمامه حقيقة، هي الحرية الفردية، قدرة الفرد على أخذ القرارات في الحياة. يريد إبسن مجتمعا ينادي بحرية الأفراد. وتحدث كثيرا عن «ثورة العقل الإنساني». وفي رسالة إلى بيورنسون في عام ١٨٧٩ يقول فيها إبسن إن عمله الشعري مبني على « إيقاظ الحرية والاستقلالية في الفرد وبقدر ما ممكن للكثيرين.

لكن إبسن لم يكن سياسيا، كان فنانا. لم يكن يرى الأمر أنّ مهمته إيجاد الحلول. مهمته كانت أن يرى ويظهر الصراعات بين الناس والصراعات التي يمكن أن تتواجد في الفرد. لا يريد أن يصنف سياسيا. مرة في عام (١٨٧٠) اتهُّمَ بأنه محافظ، حينها أجاب إبسن بهذه القصيدة.

يقولون صرت من 'المحافظين'.

أنا ما كنت طوال حياتي.

لا أنحاز إلى تحريك بيادق الشطرنج

تغيير اللعبة يربكني، بعدها ستعرفون مكاني.

ثورة واحدة فقط أتذكر

تلك التي لم يقم بها غشاش غبي

جلبت النصر لاحقا للجميع

أعني بالطبع قصة الفيضان العظيم

رغم أن ذلك الوقت، حتى إبليس قد انخدع

في تاريخ الطغيان

يا راديكاليون ... كلامي هذا إليكم

دعونا نفعل ذلك مرة أخرى

لكن هذا يتطلب رجالا ومتكلمين

يسببون فيضانا على أرض العالم

وأنا بكل سرور

أضع طوربيدا تحت سفينة نوح

هنا يظهر بوضوح أنه ثائر على النظام، وقال في عدة مناسبات إنه لا يؤمن بالتغييرات الصغيرة. إن كان سيكون هناك معنى للتغيير، على المرء أن يغير كل شيء. وقال أيضا إن السياسيين بمجرد ما أن يحصلوا على السلطة يتخلون على مثلهم العليا. لكن الشاعر فالأمر معه مختلف، سهل عليه أن يتمسك بمثله العليا. في نفس الوقت لم يتم العثور على صورة المجتمع التي يريدها ابسن. حتما أنه كان يحب الكفاح من أجل الحرية، وأن الطريق للهدف أهم من الهدف نفسه.

بعد بضع سنوات (في خطاب ألقاه إبسن أمام موكب العمال في تروندهايم، ١٨٨٥) يقول: «يجب أن يدخل عنصر نبيل إلى حكومتنا وإدارتنا، ونوابنا وصحافتنا. بالطبع لا

أفكر بنبل الولادة ولا بالثروة، أو بنبل المعرفة ولا حتى بالقدرات أو المواهب. لكنني أفكر بنبل الشخصية والعقل والإرادة. ذلك هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يحررنا. هذا الشرف، والذي آمل أن أنقله إلى شعبنا مع أنه سوف يأتي إلينا من الجانبين. وسوف تأتي إلينا من مجموعتين، والتي حتى الآن لم تتضرر بشكل لا يمكن إصلاحه من جراء حشد الحفل. سوف يأتون إلينا مع نسائنا وعمالنا. تحوّل الظروف الاجتماعية، والتي يجري إعدادها الآن في أوروبا ، أنشغل بأعمال جديرة بالاعتبار وبمستقبل وضع المرأة».



■ البطة البرية



Henrik Ibsen

All or Nothing

في عام ١٨٨٢ أنهى سيغورد امتحانه في القانون بروما، بعد ذلك حصل على عمل في العلاقات الخارجية النرويجية السويدية، أولا في كريستيانيا وبعدها في واشنطون وفيينا.

رسالة إلى سوزانا التي سافرت لبضعة أشهر مع سيغورد إلى كريستيانيا، يعطينا انطباعا على أن روتين عمل إبسن على النحو التالي.

«لحد الآن استيقظت الساعة السادسة والنصف، تناولت فطوري بعد نصف ساعة، وبعدها خرجت ريثما تكون الغرفة جاهزة، مثل كلّ مرة بدأت في الكتابة من الساعة التاسعة إلى الواحدة ثم تناولت العشاء بنهم، بعد الظهر كنت في وضع جيد لأكتب شيئا أو أدير أعمالي. البيرة لا أتذوقها بالمرة. ولذلك أحس بصحة جيدة. على العكس كنت اشرب كثيرا الحليب وليس كثيرا من النبيذ الأبيض مع الماء. قليلا

من الطعام في المساء: الساعة الخامسة والنصف. حتى الآن وفي كل ليلة أكون في سريري قبل الساعة العاشرة وأنام جيدا.»

هناك طرق مختلفة لقراءة نص أدبي، كما أن هناك طرقًا مختلفة لفهم مسرحية عندما يجلس المشاهد في قاعة المسرح. كما القارئ أو المشاهد يمكن إلى حدّ ما أن نختار كيف نريد أن نفسّر ما نقرأ أو ما نرى.

فيما يتعلق الأمر بمسرحية بير جنت، يمكننا اختيار ما إذا كنّا نريد أن نفسر المسرحية أنها كانتقاد للنرويج والنرويجيين، كنقد لأدب تلك الحقبة المعروفة بالرومانسية، كإشادة للخيال والفن، كسيرة ذاتية لابسن، أو هي حول أهمية العثور عن رسالته في الحياة. ويوجد هناك طرق كثيرة لاكتشاف شخصية بيرجنت. لا أحدا منهم مجنونا. نحن الذي نقرأ أو نشاهد أو نسمع، الذي يمكننا أن نقرر ماذا اختبرناه، ولا أحد يمكنه أن ينتقد تلك التجربة التي لدينا. التجربة تكون دائما واقعية.

وبطبيعة الحال أن شخصية بير جنت تعالج مسألة كل ما ذكر آنفا، لكن القارئ أو المشاهد يمكنه أن يختارمتابعة أكثر من موضوع واحد.

كيفية قراءة الأدب لها علاقة ايضا بالسّن. يمكننا قراءة كتاب في سن الثامنة عشرة، ونستفيد منه الكثير. ويمكننا قراءة نفس الكتاب ونحن في سن الخمسين، ونستفيد أيضا منه الكثير. ولكن على الأرجح، مادامت هناك سنوات بين الثامنة عشر والخمسين، نكتشف شيئا آخر عندما نقرأه ونحن في سن الخمسين. والتجربة التي كانت لدينا ونحن في سن الثامنة عشرة ليس بالضروري أن تكون أسوأ من التي عايشناها في قراءتنا لنفس الكتاب ونحن في الخمسين.

يمكننا أيضا اختيار إحدى الشخصيات خاصة. في مسرحية إبسن القادمة ... البطة البرية – هناك ثلاث شخصيات رئيسية، يالمار إكدال جريجرز ويرل وهيدفيج إكدال. يمكننا أن نختار متابعة هيدفيج.

أخت إبسن الصغرى تدعى هيدفيج. من المؤكد أن الأمر ليس صدفة حين استعمل اسمها في مسرحية البطة البرية.

تبلغ هيدفيج ١٤ سنة من عمرها. تسكن في العلّية، شقّة صغيرة في الدور العلوي مع أبيها (يالمار إكدال)، أمها(جينا إكدال) وجدها (العجوز إكدال). في غرفة في الدور العلوي هناك حيوانات حيّة، بما فيها الأرانب والدجاج والبط البري. البط البرّي تمتلكه هيدفيج. في الطابق أدناه يسكن اثنين مسرفين في الشراب (الدكتور ريلين و المرشح مولفيك). بعد ذلك سيأجر صديقا لأبي هيدفيج (جريجرز ويرل) غرفة في الشقة. أبوه ويرل كان الرجل الغني في المنطقة.

جميع الناس لهم قصصهم التي تتطور خلال القصة، وهيدفيج انجرّت إليهم، وينتهي كل شيء بأطلاف هيدفيج النار على نفسها.

عائلة إكدال فقيرة لكنها سعيدة. لهم أسرارهم الصغيرة والكبيرة -- أو الكذب ككل العائلات، لكنهم يحبون بعضهم البعض ومتشبتين بالحياة بقدر ما يستطيعون. هيدفيج تعاني بالفعل من مرض في عينيها (هي نفسها لا تعلم بذلك) الشيء الذي سيؤدي إلى فقدانها البصر. الأب هو مصور في الواقع، لكن الأم هي التي تهتم بالتصوير.

بدلا من ذلك، يبدو الأب منشغلا باختراعه الذي سيجعل من العائلة غنية، ندرك أنه لن يكون هناك اختراع على الإطلاق. هو شخص سابح في الخيال. الأم هي التي تحافظ على تماسك الأسرة، وهي التي تقوم برعاية البيت. الجد عجوز خرف، صياد الدببة الذي يقنص الأرانب في العلية ويعتقد أنها الدببة. لكنه لم يمس البطة البرية.

ثم قدم جريجرز ، الصديق القديم للوالد إلى المنزل وهدّم حياة العائلة. شخصية رائعة معتمة بشيء ما نسميه ب« التغيير المثالي» يريد أن يكون كل شيء «صحيحا» و«حقيقيا» وهو فقط الوحيد الذي يعرف الخطأ من الصواب. يذهب جريجرز بكل هدوء إلى أبي هيدفيج ويقنعه بأنه لا يعيش حياة « زوجية حقيقية». بالنسبة لجريجرز لا يمكن أن يتقبل الناس التي تعيش على شكل عائلة تخفي أسرارا عن بعضها البعض. أب هيدفيج اقتنع أن جريجرز على صواب، ومن ثم تأتي الكارثة.

هناك شخص في المسرحية يؤكد على آراء مخالفة تماما، وهو الدكتور ريلينج. لكن شخصيته لم تكن قوية بما يكفي ليوقف الكارثة. ريلينج يقول أنه من غير الضروري إفشاء كل الأسرار. يعتقد أن الإنسان يحتاج إلى بعض الكذبات، حتى يكون إلى حدّ ما

راض في حياته. ويعبّر دكتور ريلنغ عن ذلك بالكلمات التالية: « إذا نزعت كذبة الحياة من إنسان عادي، تكون في الوقت نفسه نزعت منه السعادة ».

يبدو أن هيدفيج ليست الابنة البيولوجية ليالمار ايجدال. يتضح أن أب هيدفيج هو التاجر ويرل، الذي كانت له علاقة عاطفية مع أم هيدفيج حين كانت خادمة عنده. عندما اكتشف الأب ذلك، قرر أن يرحل. لم يستطع بعدها أن ينظر بعينه إلى هيدفيج.

يالمار: مستحيل. مستحيل. أين قبعتي؟ (يتناول القبعة) أن بيتي ينهار من حولي. (ينفجر باكيا) جريزر. لم تعد لي ابنة!

هيدفيج: (تظهر عند باب المطبخ) ماذا تقول؟)تهرع إليه) أبي، أبي!

جينا: أرأيت؟

يالمار: لا تقربيني يا هيدفيج! ابتعدي عني! أنا لا أحتمل النظر إليك. آه هاتان العينان ...! وداعا.

هيدفيج: (تتعلق به وتصيح مولولة) لا. لا. لا تتركني.

جينا: (تصرخ به) انظر إلى الطفلة يا هيلمير! انظر إليها!

يالمار: لا أريد! لا أستطيع! لابد أن أذهب، بعيدا عن كل هذا! (يتملص من هيدفيج، ويخرج من باب الصالة.)

هيدفيج: (ونظراتها تفيض بالقنوط) إنه يتركنا يا أمي! إنه يتركنا! لن يعود إلينا ثانية!

جينا: لا تبكي يا هيدفيج،أبوك سيعود حتما.

هيدفيج: (ترتمي على الأريكة وهي تنتحب) لا. لا. لن يعود إلينا بعد اليوم.

جريجرز: صدقيني يا سيدة إكدال، أنا ما قصدت إلا الخير.

جينا: ربما. ليغفر لك الله، على أي حال.

هيدفيج: (تستلقي على الأريكة) سأموت! ماذا فعلت له؟ أمي، عودي به إلينا!

غريجرز يقنع هيدفيج أن تطلق النار على البطة البرية --- أعز شيء تملكه

...كضحية. إن فعلت ذلك سيعرف الأب مدى حب هيدفيج له، يقول غريجرز. لكن هيدفيج أطلقت النار بدلا من ذلك على نفسها.

شيء جديد في هذه الدراما مقارنة بمسرحياته الأخيرة، أنه استخدم هذه المرة الرموز(رغم أنه استعمل ذلك في مسرحية براند). وتلعب البطة البرية الرمز المركزي في المسرحية. عندما أصيبت البطة البرية بالجرح، غطست وخرّت صريعة،«في عمق البحر». يمكن أن نرى البطة البرية كرمز لهيدفيج. طفلة جريحة وفي آخر دقيقة مستلقية هناك تلفظ أنفاسها الأخيرة.

البطة البرية مسرحية تراجيدية لكن في نفس الوقت كوميدية. كل من والد هيدفيج وجدّه المسرفين في الشراب الذين يقطنان في الطابق السفلي شخصيات مضحكة، يقولون ويفعلون أشياء مضحكة. لكن في نفس الوقت المسرحية ذلك حزينة جدا، والكبار يتصرفون بطريقة جائرة ومبكية نحو الطفلة البريئة. لكن كمشاهد يعيش تجربة ضحكته التي غاليا ما تتعثر ي حلقه لكن ليس الأمر كذلك دائما. في بعض الأحيان تمر الأشياء مضحكة فقط، الشيء الذي يجعل التراجيديا جد مأساوية حين تظهر للعيان مرة أخرى.

في نفس الوقت تتميز المسرحية بدفء خاص جدا. إبسن يتعاطف شيئا ما مع أولئك الفقراء الجديرين بالشفقة، كما لو أنه يريد أن يظهر انه يرى أن هؤلاء يحاولون جهد المستطاع أن يفعلوا الأمور أفضل مما هي عليها.

الجمهور والنقاد كانوا على حدّ سواء في حيرة عندما صدرت البطة البرية. لم يفهموا ماذا كان يعنيه إبسن في المسرحية. وإبسن لم يقل شيئا يمكن أن يساعد على تفسير ذلك. كان صامتا. كالصيت الذائع عنه أنه صامتا وغامضا كأبي الهول. اتّهم بأنه يكتب بالغموض قصدا، كما اتهم أنه يكتب فقط عن أشياء مظلمة وكئيبة. لا سيما الشباب (مرة أخرى!) لديهم إحساس كبير في استخدام إبسن للرموز.



■ بيت روزمرز والسيدة من البحر



Henrik Ibsen

All or Nothing

بعد ذلك انتقلوا إلى ميونيخ. أحد الأسباب التي جعلتهم ينتقلون هو أنّ سوزانا كانت تعاني من التهاب حاد في المفاصل. لم تكن ميونخ بعيدة عن المنتجعات في بوهيميا، لتلقي العلاج. وعلاوة على ذلك ، كانت الحياة المعيشية أرخص في ميونيخ مما كانت عليه في روما. ما عدا في فصل الصيف، كان إبسن أغلب الوقت دائما في المدينة. عاش حياة روتينية يوما بعد يوم. كان يكتب ويذهب للتنزه ويمرّ على مقهى ماكسيميليان ليشرب كأسا من البيرة، وليقرأ الصحف. كان يبدو وكأنه لم تكن له حاجة إلى أناس آخرين في هذه الفترة. كرّس نفسه كليا للكتابة.

خلال تلك السنوات كان في ذروة الإبداع ككاتب الدراما. مسرحياته الثلاث كتبها هنا، بالإضافة إلى البطة البرية ، والتي قد تم الانتهاء منها، ربما كان أروع ما حققه.

حين كان إبسن يكتب، لديه أجسام شيطانية بألسنة حمراء في درج مكتبه. كانت مصنوعة من جوتا بيركا (وهو نوع مادّة بديلة عن البلاستيك). في اعتقاد إبسن أنه «لابد أن يكون هناك أجسام شيطانية فيما يكتب» لذلك يريد أن تكون تلك الشياطين معه. عندما يكون بطيئا في الكتابة يضعهم أمامه ويلعب معهم مسرح الدمى المتحركة، يدعهم يتحدثون سويا كما كان يفعل مع الدمى الورقية في طفولته في فينستوب. بعد فترة ينهي كتابته في الوقت المناسب. على منضدة في مكتبه يوجد أيضا الكتاب المقدس مفتوحا لتحقيق التوازن.

مسرحيات إبسن الثلاث القادمة – بيت روزمرز، وسيدة من البحر، هيدا جابلر – سنجتمع بثلاث نساء غريبات الأطوار؛ ربيكا ويست، إيليدا وانجل وهيدا جابلر. تميّز هذه النساء كريزما قوية والناس الذين بالقرب منهن يتأثرون بهن بشدة. وكأنّهن الوحيدات فقط اللواتي يتميزن بالمعرفة. لهن سلطة على الآخرين لذكائهن ودرجة عالية من الحسية والغموض. كما أنهن يختلفن عن غيرهنّ من النساء. كلّ منهن تحمل أسرارا من الماضي. لهنّ آراء عصرية، رادكالية، ليس بالمعنى السياسي للكلمة ولكن رادكالية على المستوى الشخصي. يردن التغيير في حياتهن، ولكونهن عاطفيات، وحياتهن في هذا المجال غنية وتختلف عن غيرهن من النساء. وكل ما لديهنّ من أسرار الماضي يحملنها معهنّ. فهي حديثة وجذرية ، ليس بالمعنى السياسي للكلمة ، فهنّ المتطرفات على المستوى الشخصي ، يريدن تغييرا في حياتهن. عاطفي ، وبما أنّ حياتهن العاطفية غنية ، يمكن بسهولة أن ينجرفن بعيدا، ويصبحن عرضة للخطر.

الثلاث نساء لديهن شيء متوحش من فوقهن،يبدو وكأن لهن اتصال بقوى الطبيعة والعالم، كما كان الأمر قبل الحضارة والمسيحية. هذا لا ينسجم مع المجتمع المعاصر. كما محيطهنّ – خصوصا الرجال-- لم يفهموا هؤلاء النساء، لأنهن كن يتصرّفن بطريقة مخالفة لباقي نساء ذلك العصر، حيث ينتهكن قوانين المجتمع حول ما هو صواب وخطأ.

كنّ متمردات ولديهنّ مسعى قوي للحرية. يتبعن قواعدهن الخاصة، يردن مجتمعا يقبل النساء كما هنّ ، رغم أنهن لم يفصحن على ذلك بوضوح. عقلهن أكثر تعقيدا من

السيدة ألفنج في مسرحية الأشباح وبيت الدمية. بالإضافة إلى ذلك لا نورا ولا السيدة ألفنج أظهرتا ذكاءهما كما ربيكا ويست إيليدا وانجل وهيدا جابلر. لكن ذلك الزمن لم يكن ناضجا كفاية، فينتهي الأمر بوفاة اثنين منهن.

كاد يكون لغزا إبسن كيف يمكن للادارة ان تصور هؤلاء النساء. كيف انه لا يعرف ما كان يثير في أنفسهن ؟ لم تكن هناك كتب في علم النفس تتحدث عن سلوكيات هذا النوع من النساء، فإنها ستأتي في وقت لاحق، بما في ذلك كتب سيغموند فرويد. وبالتالي، فإن إبسن وصف المرأة في مسرحياته ، قبل أن يصف فرويد بوقت طويل هذا النوع المماثل من النساء من خلال التحقيقات العلمية.

وكان يكفي أن هناك نساء شابات عصريات وجدن أنفسهنّ في تلك النساء التي وصفها ابسن. كان إبسن طوال حياته يحب التحدث إلى النساء. كان يسأل ويحفر، لا يتوقف حتى يخبرنه بالأشياء التي تهمه، كشاعر.

تجري أحداث بيت روزمرز في منزل فخم حيث يسكن يوهانس روزمرز وريبيكا ويست والخادمة مدام هيلسيث. منذ بضعة سنوات كانت ربيكا ويست جليسة السمر في القصر، وحتى قبل أن تنتحر زوجة روزمرز. يتضح لاحقا أن ربيكا ويست تريد روزمر. وأكثر من ذلك تريد أن تمتلك أفكاره. تريدهم أن يصلوا سويا إلى هدف، أن يعيشوا الحياة في الواقع، أن يعيشوا مع أناس أحرار وسعداء.

إضافة إلى ذلك، سينكشف الأمر تدريجيا، على الأقل بالنسبة لربيكا ويست شخصيا، أنها هي التي قادت زوجة روزمرز إلى الانتحار. سيتضح أيضا أنها حين كانت صغيرة كانت لها علاقة جنسية مع أبيها، لم تكن تعرف أساسًا أنها كانت ابنته.

مسرحية بيت روزمرز تذكرنا شيئا ما بمسرحية الأشباح. بمعنى أن الأشباح تلاحق الشخصيات، في بيت روزمرز أشباح الماضي تدعى« الجياد البيضاء». ومرة أخرى المحرّمات القابلة للاشتعال هي التي تبتليهم، الانتحار وسفاح القربى. تنتهي المسرحية بانتحار ربيكا ويست ويوناس روزمر في شلال مولّ، نفس ما فعلته سابقا زوجة روزمر. هكذا تكون قد انتقمت من ربيكا ويست التي استحوذت على زوجها لنفسها.

طوال المسرحية ، نحن كمشاهدين نفهم أن روزمر وريبيكا ويست أحب كل منهما

الآخر. الوحيد الذي لم يكن يعرف ذلك هو يوهانّيس روزمر. وعندما أدرك ذلك في النهاية، أصبح من المستحيل على ريبيكا ويست قبول حبه. لا توجد هناك ظروف خارجية لتمنعهم من الزواج، لكن أشباحًا من الماضي هي التي وقفت في طريقهم.

ولا حتى بيت روزمرز كانت مفهومة من قبل النقاد. هذا هو مسرح ابسن. بجانب مسرحية أشباح التي تعرضت لأسوأ الانتقادات. ونفس الشيء مع أشباح التي تعتبر من أكثر مسرحياته التي عرضت بعد ١٩٠٠ وإلى يومنا هذا.

بيت روزمرز كانت آخر مسرحيات إبسن التي طرح فيها القضايا السياسية والتي تناقش في يومنا المعاصر. بعدها سيتعمّق أكثر فأكثر في العقل الإنساني.

عنوان العمل لسيدة من البحر كانت حورية البحر. وحورية البحر هي إيليدا وانجل. كانت لديها جاذبية خاصة إلى البحر والحياة البحرية. ذات مرة تحب إيليدا رجلا جاء من البحر، كان معها لفترة قصيرة ثم خرج إلى البحر مرة أخرى. في الواقع ارتكب جريمة قتل، لذلك كان لا بد له الفرار من البلاد.

قبل أن يغادر أوثقت إليدا وذلك الغريب الخواتم ببعضها وألقيا بها في البحر. هكذا فعل إبسن وحبيبته ريكي هولست في برغن منذ سنوات عديدة. لكنه قال أنه عاد مرة ليأخذها معه.

في أولى ملاحظاته عن المسرحية، كتب إبسن ما يلي:

قوّة البحر الجاذبة. الشوق إلى البحر. الناس أقرباء البحر. ملتحمون مع البحر. معتمدون علي البحر.توّاقون للعودة إليه. فصيلة السمك تشكل حلقة قديمة جدّاً من حلقات سلسلة التطوّر. هل يا ترى ما زالت بقاياه موجودة في العقلية البشرية؟ في عقليّات بعض البشر؟

صور الحياة الصاخبة في البحر و« ذلك الذي ضاع إلى الأبد». يسيطر البحر على قوّة المزاج ويظهر كإرادة. يستطيع البحر أن ينوّم مغناطيسياً... وكذلك الطبيعة تستطيع ذلك... هي أتت من البحر... وخطبت سرّاً للربّان الطائش... في الحقيقة- وفي الخيال اللاإرادي- معه هو، تعيش حياتها الزوجية...»

في نفس الوقت ، حين ذهبت في انتظار ذلك الغريب، تزوجت إيليدا بالدكتور وانجل. لدى الدكتور ابنتين مراهقتين من زواج سابق، بوليتا وهيلدا. هيلدا لديها إعجاب قوي من بعيد نحو زوجة أبيها. وكأنها صنعت من نفس المعدن.

كان الزوجان يعيشان حياة زوجية بطريقة ما فيها احترام متبادل،لا يتشاجران ولا يقولان كلاما سيئا لبعضهما البعض. الدكتور وانجل رجل طيب وعميق التفكير وعلاوة على ذلك فوهو طبيب ، انه يفهم شيئا ، ولكن ليس كل شيء وهذا ما يزعج زوجته.

إيليدا تعيش حياتها على جانب بقية أفراد الأسرة، في الشاطئ أو في شرفة المراقبة بالحديقة. لم تكن والدة محترمة لربيبتيها ولا تريد أي احتكاك جسدي مع زوجها بعد أن أنجبا طفلا ولاقى حتفه. الزوج كان يعزي نفسه في صمت بشرب الكحول، لكن من غير أن يستسلم. في النهاية يصبح من الواضح أن هناك شيئا خطيرا يتقل كاهلها. سيظهر أنها لم تستطع أن تنسى ذلك الغريب. لم تستطع أن تزيح الماضي ولا تصحيحه.

ويوم يأتي الغريب لاصطحابها. تطلب إيليدا الطلاق من زوجها. يرفض ذلك. (وبناء على قرار ذلك الزمن، يمكن إجبارها على المكوث بالقوة.) يعود الغريب من جديد مساء اليوم التالي. تترنح إيليدا بين رجليها، لكنها لم تستطع أن تقرر.

بعد ذلك فهم وانجل أنه يجب إعطاء الحرية الكاملة لزوجته في الاختيار. وهذا بالضبط ما يتطلبه الأمر لجعلها تتخلص من أحزانها. عندما تحصل على حرية اختيار، تختار ونجل. أما الغريب فيذهب إلى حال سبيله. «توبة» إيليدا في نهاية المطاف كانت فجائية (على عجل). كالصدمة تقريبا. ومن تفاجأ أكثر هو الزوج.

نهاية مسرحية سيدة من البحر سعيدة. إيليدا تختار الحياة المدنية والآمنة. رأت أن وانجل أظهر حبّه الحقيقي لها حين سمح لها بالاختيار. وذلك الحب الذي كانت تسعى إليه. في نفس الوقت تقول لا لتلك الوحشية التي بداخلها.





■ مايسولن في حياة بسيبتمبر

Henrik Ibsen

All or Nothing

احتفل إبسن عدة مرات في المدينة الصغيرة التي تدعى جوسّن ساس في جنوب ألمانيا، هذه المرة يحتفل من غير صحبة سيغورد. آخر مرة كانوا هناك في صيف ١٨٨٩ . هناك التقى إبسن بإيميلي بارداخ. كانت من النمسا وتعيش في فيينا. تبلغ ثمانية عشر عاما، بينما كان هو في الحادية والستين من سنوات عمره.

أصبح إبسن كثير الاهتمام بها، وكانت تبادله نفس الشعور. تكتب إيميلي بارداخ في دفتر يومياتها:« بدأ إبسن يتحدث إلي بجدية عن نفسي. قضى وقتا طويلا معي يوم السبت وفي ذلك المساء أيضا. كنا نقضي أوقاتا طويلة سويا. ترك أثارا مؤلما في نفسي. كان يكلمني بمشاعر قوية. كلماته تنتظر الكثير مني، الكثير، الكثير أكثر مما يمكن تحقيقه، كنت خائفة. أعطاني إحساسًا بالخوف والبرد.

***

كان يتحدث عن أكثر الأمور جدية في الحياة وأنه يؤمن بقدراتي. أخبرني بأنه لم يحدث قط في حياته أن شعر بسعادة بمعرفة شخص كما شعر نحوي. لم يعجب قط في حياته بشخص كما أعجب بي. لكن كل شيء فيه كان طيبة ونبلا! من المؤسف أنني لم أذكر كل كلمة كان يتفوّه بها! طلب مني بكل جدية أن أتكلم بكلّ صراحة معه، وأن أكون صادقة في قولي حتى يتسنى العمل سويا كزملاء.

لاشك أن إيميلي بارداخ شعرت بإطراء لتعرّفها عن أحد من كبار الكتاب المشاهير. وأن ذلك المقتطف من يومياتها يوحي بأنها كانت تحبّه. لكن، ماذا كانت تحب؟ هل كانت تحبّ شهرته؟ بعد كل شيء، لم يكن سوى رجل قصير مسنّا، أشيب الشعر واللحية.

في يوم آخر تكتب:« هذه الحواجز! آه كم تتكاثر! كلما أفكر فيها! وفارق العمر! ... زوجته! ... ابنه! ...كل هذا يقف بيننا! هل يجب أن يحدث كل هذا؟ هل يمكنني أن أمنع ذلك؟ هل يمكنني أن أعيق ذلك؟ عندما يتحدث إلي كما العادة، كنت أشعر بالرغبة دائما للسفر بعيدا، بعيدا من هنا! ورغم ذلك أتعذب فقط بالتفكير في الرحيل عنه. أكثر ما كنت أعاني منه نفاد صبره، استياءه، بدأت أشعر بكل ذلك الآن،هنا في حجرة الجلوس حيث نحن مفترقين تماما.

بعد أربعين سنة تقريبا (١٩٢٧) تقول إيميلي بارداخ في حوار بأن إبسن لم يقبلها قط. ربما كان الأمر أنه عايش قبلة مع الشابة إيميلي، لكنه لم يعشها ابدا. كان يسميها« شمس ماي في حياة بسبتمبر.

كتبت أيضا في مذكراتها أن إبسن أخبرها بأنهما سيسافران معا وأنها ستستمتع معه بنصره كشاعر عالمي كبير. تقول بأن إبسن ناقش معها الطلاق. لكن عندما رجع إبسن من ميونيخ، اكتشف أنه سيستمر الحياة مع سوزانا. ويفترض أنه يعلم ذلك طوال الوقت.

بعد رحيلها كتب إبسن رسالة إليها: « من كل قلبي أشكركم، أيتها الفتاة الرائعة، لرسائلكم اللطيفة والحنونة للغاية، والتي تلقيتها اليوم الأخير من إقامتي في جوسّن ساس وقرأتها مرارا وتكرارا.

هناك حيث الجو صيفا، كان الأسبوع الأخير جدا حزين... أو هكذا كان يبدو بالنسبة لي على الأقل. لم تعد هناك شمس، كل شيء راح واختفى. ما تخلف من الضيوف لا يمكنهم بالطبع أن يعوّضوا لي تلك اللحظات القصيرة الجميلة من أواخر الصيف.

كنت كل يوم أخرج للتنزه إلى بفليرشتال. حيث هناك مقعد في الطريق، وحيث يمكن للناس بالتأكيد أن يتحدثون مع بعضهم البعض بطريقة مثيرة للذكريات. لكن المقعد كان خاليا، وذهبت ماضيا في طريقي من غير أن أجلس.

هل كان إبسن في حالة حب؟

بالطبع كان كذلك. كان يحب بالطريقة التي يقع فيها كبار السن من الرجال أحيانا.

فمن المؤكد أن هناك حنين ذلك الشاعر العجوزإلى أيام شبابه. ومن طبيعة الحال، لم تكن هي الوحيدة فقط التي شعرت بالإطراء. بالتأكيد شعر إبسن أيضا بالاطراء لاهتمام فتاة شابة جميلة به.

بعد أن رحلت إيميلي بارداخ صادف إبسن امرأة شابة أخرى تدعى هيلين راف. وكان يستعمل الكثير من نفس الكلمات لها والتي كان يستعملها لمغازلة ايميلي. وفيما بعد، عندما انتقل إلى النرويج، سيلتقي بسيدة شابة أخرى. تواجهه سوزانا فأخبرها بأنه لا يخفي عليها لقاءه مع هؤلاء النساء الشابات. على العكس من ذلك، كان يستدعيهن إلى البيت حتى يتسنى لهن التعرف عن كثب بزوجته. ايميلي توضح ذلك بعد مضي سنوات عديدة«علاقة إبسن بالفتيات الصغيرات لم تكن مبنية على عنصر الخيانة بمعناها المعتاد، تنبع فقط من احتياجات في خياله، كما ذكر هو نفسه، كان يبحث عن الشباب لأنه كان ضروريًا لشعره.





■ هيدا جابلر



Henrik Ibsen

All or Nothing

الشخصية الرئيسية في مسرحية هيدا جابلر ، تسمى في الحقيقة هيدا تيسمان. جابلر هو اسمها قبل الزواج. ابنة الجنرال جابلر، الذي لقى حتفه. هناك صورة كبيرة له معلقة في غرفة الجلوس. الشيء الوحيد الذي ورثته عن والدها، بيانو ومسدسين. الآن تتزوج بيورغن تيسمان. يعمل في مجال تاريخ الفن في الجامعة ويأمل أن يعيّن أستاذ جامعيا في وقت قريب. رجل ممل، مجنون وغير ناضج.

هيدّا تزوجت من رجل لا تحبّه، وحامل بطفل لا تريده، حياتهم الاقتصادية أسوأ بكثير من التي كانت معتادة عليها، عمة زوجها والتي هي غير متزوجة تزورهم بشكل مستمر وتزعجهم. منذ البداية واضح أن هيدّا ليست سعيدة في حياتها الجديدة. طوال كل المسرحية تشعر بملل. تتصرف كطفلة مدلّلة رغم أنها في أواخر العشرينيات. تخلق صعوبات ودسائس لكلّ

من يزور البيت، براك صديق العائلة قاضي القضاة (القاضي الذي يترأس الجلسة)، صديقتها القديمة ثي إلفستيد و حبيب الطفولة أيلرت لوفبورغ. وبطبيعة الحال زوجها يورجن تسمان وعمته يولاّ.

هيدّا شخصية لا تتناسب إطلاقا مع المحيط الذي تعيش فيه، أكثر من ريبيكا ويست وإليدا وانجل، رغم كل شيء فكل منهن لها مقياسا لرغبتها. لكن هيدّا لم تكن كذلك.

ليس من السهل استيعاب السبب الذي يجعلها تحسّ بأنها محاصرة. لماذا تشعر بملل بشكل لا يوصف؟

تعيش تحت ضغوطات داخلية هائلة. لم تستطع أن تتلقى الدفء الإنساني أو الاقتراب من أحد، لكنها كانت تغازل دون حسيب ولا رقيب الرجال الذين يزورونها.

ربما لهذا السبب كانت تغازل؛ لأن المغازلة سهلة ولا تحتاج لارتباط ، الاقتراب معناه الالتزام والتطلب. ولكن لا يستطيع أحد أن يلمسها ، كانت تقول أنه شيء مثير للاشمئزاز حين يرسل لها زوجها نظرات غرامية.

لكي تتخلص من ذلك العدوان بداخلها تعزف بطريقة وحشية وبشعة على البيانو أو تطلق النار بمسدسات والدها.

لم تكن تقليدية كما نورا وريبيكا ويست، لأن هيدا جابلر كانت تخاف من الفضائح. في الوقت نفسه كانت تتوق لحياتها، للعيش خارج مشاعرها. لكنها لم تكن قادرة أن تفعل شيئا حيال ذلك، لأنها كانت جبانة. هيدّا يجب أن تكون لها سيطرة كاملة، لذلك لم تنجح أبدا في بناء علاقة مع إليرت لوفبورغ ، الذي لديه كل تلك الوحشية التي تفتقدها في زوجها. وأنها غيورة، تحترق غيرة من شعر صديقتها الجميل.

بعدئذ ستصبح هيدّا جابلر شريكة في أن إيليرت لوفبورغ أطلق النار على نفسه بحادث. أعطته واحدا من مسدساتها وطلبت منه أن يموت بطريقة جميلة. عندما فهم براك قاضي القضاة السياق والتهديد بالفضيحة، أطلق النار عليها شخصيا.

ولا حتى معاصرو إبسن فهموا هيدا جابلر. معلّق في جريدة الصباح يكتب:« تماما هيدا جابلر يمكن بالكاد تسميتها كائن خرافي مخيف. واحدة من إبداع الشاعر نفسه،

وحش في شكل أنثى دون نمط مماثل في عالم الواقع. لكنها عرضت كثيرا. افتتن الناس بتلك الشخصية الغريبة. وحتى الآن مازالت المسرحية شعبية، ويعتبر دورهيدّا مطلوبا من قبل الممثلين النساء.

على الرغم من كل ما تقوله هيدا جابلر وتفعله شرّا، يشعر المشاهد بنوع من التعاطف معها. يفهم المشاهد أن هناك سبب راجع لخلفيتها وهو الذي يدفع بها لتتصرف على ذلك النحو. (هنا نفهم لماذا يكون الطفل مدللا وعنيدا) ، على الرغم من أنه لم يكن مشروحا في المسرحية. لكن على أي حال نفهم حين كان الجنيرال جابلر على قيد الحياة كان سكان المنطقة يشاهدونها تمتطي الحصان وعلى رأسها قبعة بريشة ومعطف أسود على فرس جميل، حينها كانت تعيش الحياة التي تريدها. وهناك فوق ظهر الفرس كانت لها السيطرة الكاملة. وربما لم تكن عصرية كثيرا.كانت تتوق بالأحرى للرجوع إلى تلك الفترة التي كانت تنتمي إليها، الطبقة البورجوازية الجليلة التي تتمتع بالأسلوب والتهذيب.

إبسن نفسه يقول إنه سمّى المسرحية بهيدا جابلر كي يؤكد أنها كانت أكثر ابنة لوالدها من أن تكون زوجة ليورغن تيسمان. هيدا لديها جانب مظلم في نفسيتها والتي لا هي ولا نحن نفهم تماما ما هي. لكننا نعتقد بذلك على أي حال. إنها مخيفة وجميلة، كما أنها استفزازية.



■ كريستيانيا (١٨٩٩—١٩٠٦)

الرجوع إلى الوطن



Henrik Ibsen

All or Nothing

في ١٦ يونيو ١٨٩١ وصل هنريك إبسن إلى كريستيانيا. على الرصيف كان في استقباله صحافيين من جريدة الصباح وجريدة الفي جي.في اليوم التالي رحبت جريدة الصباح إبسن بالنيابة عن«كل الرجال والنساء الليبيراليين».

لم يخطط أن يستقر في النّرويج، لكنه سيعيش في البلد إلى أن يتوفى في عام١٩٠٦ .

أول شيء فعله وهو الذهاب في رحلة إلى الشمال بالمركب الشراعي. وصل إلى حدود القطب الشمالي. يقال إنه في رحلته الطويلة يكون غالبا على متن السفينة. سافرت سوزانا إلى فالدرس. من المحتمل أن الزوجان كانا في فترة سيئة من زواجهما. فترة ستستمر لسنوات عديدة.

بعد مشاهدة شمس منتصف الليل، عاد إلى كريستيانيا وانتقل إلى فندق غراند. وكان يستدعى

باستمرار إلى حفلات كانت تقام تكريما له. ورغم أنه لم يكن مولعا بالحفلات، كان يبدوا وكأنه يقدّر ذلك الاحتفال. ذهب عدة مرات إلى المسرح وخاض تجربة مسرحياته. بعد العرض يحظى بالتهليل والتصفيق المطوّل. سوزانا بالكاد تقوم بزيارة غير متوقعة إلى كريستيانيا قبل أن تسافر إلى إيطاليا لتتلقّى علاج التهاب المفاصل. بعد فترة سيشتري إبسن شقة في فيكتوريا تراسّ.

البقاء في النرويج، سرعان ما تحول إلى شخصية مألوفة ومحبوبة في المدينة. لأن إبسن العجوز يحب أن ينظر إليه، على الرغم من أنه لا يحب أن يزعج في نزهته اليومية في أسفل الشارع الرئيسي بكارل يوهان.

في كريستيانيا كتب مسرحياته الأربعة والأخيرة.، شيخ البنائين، أيلوف الصغير، جون جابرييل بوركمان، وعندما نستيقظ نحن الموتى. كل هذه المسرحيات يكون بطلها الرئيسي رجل واحد. بعد أن حقّق غضب المرأة لسنوات عديدة أصبح يستكشف عقل الرجل.

الرجال في هذه المسرحيات عندهم أشياء كثيرة مشتركة مع إبسن العجوز، رجال ينظرون إلى ماضي حياتهم وأعمالهم ويتساءلون إن عاشوا الحياة كما يجب أن يعيشوها، وبناء على ذلك اتبعوا قراراتهم. كلهم كانوا أصحاب مواقع نفوذ بشكل أو بآخر في المجتمع. وعلاوة على ذلك كانت لهم مهن شبيهة بمهنة ابسن. الرجال الأربعة هم هارفالد سولنيس (البناء)، ألفرد ألمرس، (الكاتب)، يون غابرييل بوركمان (مدير البنك) وارنولد روبك (النحات).

حين كانت سوزانا مسافرة، بدأ إبسن علاقة غرامية مع بنت السبع والعشرين سنة، عازفة البيانو هيلدر أندرسن. كانت ثالثة امرأة شابة يبدأ معها علاقة عاطفية. كانا باستمرار يتنزهان سويا، يذهبان إلى المعارض الفنية والحفلات الموسيقية والمسرح. وكانت تساعده في تأثيث الشقة الجديدة.

مرة أقامت حفلة في برغن، أرسل لها رسالة، حيث كتب فيها:

بيبتي، أروع الأميرات! لا يمكنني أن أصف لك طول الوقت الذي لم أسمع فيه عنك. وهذا يعني بصورة مباشرة وفي لغتنا الخاصة. إنه أمر محزن أن أمرّ على الرقم ٣٥،

هل تصدقين. النوافذ هناك كبيرة جدا، باردة وخالية.لا توجد ستائر ولا زهور. ولا أميرة تظهر من لوح النافدة. ولا فاتنة تختلس النظر ولا رأس محبّ يختلس النظر. ولا يد صغيرة بيضاء تلوح لي من بعيد. هيلدور، دعيني ألقاك هناك من جديد، كما كنت دون تغيير، تماما كما كنت حين رحلت عنّي! أحسّ كأنني قد أعرتك لكثير الكثير من الغرباء. أريدك من جديد وتماما كما كنت.»

هذه مقتطفات من رسالة كتبت من كاتب عالمي مشهور. تشبه إلى حدّ كبير أي رسالة غرامية من قبل أي رجل مغرم. لكن، ماذا عن هيلدور؟ هل كانت في حالة حب؟ على الأقل اختارت مقابلته، وأن تكون على مرأى معه في المدينة. اختارت أن تعرض نفسها للقيل والقال في كريستيانيا. لأنه لوحظ أن إبسن كان بصحبة هيلدور أنّرشن في المسرح. والناس في كريستيانيا يعرفون أن زوجة إبسن سوزانا لم تكن في المدينة.



■ محاضرة هامسون



Henrik Ibsen

All or Nothing

في عام ١٨٩٠ نشر كنوت همسون روايته الجوع التي جذبت الانتباه. الرواية تختلف عن غيرها من الأدبيات التي تم كتابتها في النرويج وأوروبا في ذلك الوقت. همسون (وغيره من الكتاب الشباب مثل هانز إ. كنيك وسيغبيورن أوبستفيلدر) كتبوا بطريقة مختلفة جدا من الكتاب المعروفين والمشار إليهم بالكتاب الأربعة الكبار ؛ بيورن ستيرنا بيورنسن، الكسندر شيلاند، يوناس لي - والأكبر منهم جميعا - هنريك إبسن. همسون يعتقد أن الكتاب الأربعة الكبار، لم يتبحّروا بدقة في وصف الحياة الداخلية لشخصياتهم الأدبية.

في مقال بذلك الوقت، بعنوان«من الحياة الروحية المفقودة»، يكتب هامسون: «حان الوقت أن يتوقف الكتّاب من تقديم «نماذج» يجدها المرء كل يوم في سوق الأسماك، نماذج وصفت سابقا مرارا وتكرارا.

ماذا لو أننا بدلا من الشروع في التعامل شيئا ما مع الاضطرابات النفسية؟ مع نمط العقل البشري المعقد والحديث؟»

فقط في تلك الفترة كان أيضا الرسام إدوارد مونك يرسم أهم صوره. مونك أيضا فنان في ذلك الوقت الذي سيبرز طريقة جديدة في النظر إلى الناس. يتفق كثيرا مع الشاب كنوت همسون، بل وربما أكثر مع سيجبيورن أوبستفلدر. ونعرف أن إدوارد مونك وهنريك إبسن يكنّان لبعضهما إعجابا واحتراما عميقين.

بعد أن كتب همسون المقال، تنقل في أنحاء البلاد وعقد محاضرات والتي سهب فيها بشرح المادة ومهاجمة «الأربعة الكبار». هاجمهم خاصة لأنهم يكتبون عن القضايا الاجتماعية وليس عن الأفراد، وشخصياتهم هي مجرد نماذج كارتونية تمثل قضية أو موقف. انه يعتقد بأن المؤلفين يكتبون من أجل تغيير المجتمع ، وهذا ليس هو المهم في نظر همسون وإنما خفايا النفس وما يعتريها من ظلام وغموض مما لا نعرف عنها الكثير وذلك هو الأهم ، لكن ومع ذلك فإنّ تلك الخفايا تتحكّم في تصرفاتنا.

عندما جاء همسون إلى كريستيانيا، كان شجاعا جدا لإرسال إبسن تذاكر للمحاضرات، والتي تمتد على مدى ثلاث أمسيات. وحضر إبسن إلى محاضرة المساء الأول والثاني، بصحبة صديقته هيلدور أنّرشن. كان يجلس في الصف الأمامي، ويحدق في ذلك الكاتب الشاب والمحاضر من غير أن يلاحظ على وجهه ماذا يفكر. كان إبسن يجلس وقبعته بين ركبتيه، وأزرار معطفه الأسود مشدودة إلى رقبته كتمثال يجلس ويستمع.

ومن ضمن ذلك يقول هامسن عن شخصيات ابسن، مباشرة أمام ذلك الرجل العجوز صاحب العمل.

«نعم، وماذا عن شخصيات إبسن ...؟ يتكلمون بطريقة رائعة وعميقة، لكنها هامدة كجنود من قصدير. هي نماذج بهيئة ثابتة، بطبيعة واحدة، إنهم نتاج عقل ابسن، وليست نماذج مأخوذة من الحياة الحية.»

كان بيانا رهيبا (نقدا لاذعا)، لكن إبسن لم تستفزه محاضرة هامسون. على العكس من ذلك ، كان قد بدأ بالعمل مع الشخصيات بنفس طريقة هامسون. إضافة إلى ذلك

كتب مطولا عن حياة الإنسان ووعيه العقلي في مسرحياته الجديدة (بيت روزمرز، السيدة من البحر، وهيدا جابلر). وينطبق الشيء نفسه عن الكتاب الناشئين مثل أرنا غاربورغ ويوناس لي، هم أيضا تطورت كتاباتهم بنفس الطريقة التي قدمها هامسون.

ربما كان إبسن يضحك في قرار نفسه وهو يستمع إلى الشاعر الثائر الشاب. على الأرجح كانت له من الحكمة ما تكفيه لفهم الأجيال الشابة التي دائما تنتقد كبار السن، هو نفسه قاطع الرومانتيكية الوطنية وأبدع طريقة جديدة لكتابة المسرحيات. ويعرف جليا أنه جديرا بالاحترام. الرجل المشهور عالميا الذي أصبح في الثلاثة والستين. علاوة على ذلك، كان إبسن دائما منشغلا بما يفكر به الشباب، ويودّ أن يقف بجانبهم. في الوقت نفسه يمكن أن يشعر بأن الأمر فيه نوع من التهديد، رغم أنه لم يفصح على ذلك أمام الجمهور.

في السويد الكاتب المسرحي أوغست ستريندبارغ في طريقه للشهرة، وكان يكتب أيضا بطريقة مخالفة عن ابسن.

حين كان يكتب إبسن مسرحية شيخ البنائين، خطب ابنه سيغورد برغليوت ابنة بيورن ستيارنا بيورنسن. شعرت عائلة بيورنسن وسوزانا بابتهاج، أما إبسن فلم يكن كذلك. بالطبع كان مدعوا للحفل والذي أقيم في بيت بيورنسون في أولستا. قبل إبسن الدعوة شاكرا، لكنه لم يأت، قال بأنه كان مريضا.

مسرحية شيخ البنائين كانت أول مسرحية كتبها في بيته بالنرويج منذ مسرحية المطالبون بالعرش. على الرغم بأنه ليس من المناسب اعتبار المسرحيات كسيرة ذاتية، إلا أنه من الواضح أنها عن حياة إبسن الخاصة. حين كان يكتب مسرحيته الجديدة، كانت هيلدور مازالت معه. كما كان يستمع إليها عندما كانت تبدي بوجهة نظرها حول المسرحية.

الشخصية الرئيسية لمسرحية شيخ البنائين هو هالفارد سولينيس. كان بنّاء (لم يكن ليسمي نفسه بمهندس، لأنه كان يفتقر للتعليم). قام بإنشاء شركة صغيرة، لكنه كان يخشى ذلك الموظف الشاب؛ سولينيس يقول بأن ذلك الشاب هو المستقبل، لأن لديه أفكار لا يستطيع سولنيس شخصيا أن يأتي بها. العديد في ذلك الوقت كانوا يعتقدون أن

ذلك الشاب هو كنوت هامسون.

سولنيس يعيش حياة روتينية، زواج حزين شيئا ما مع زوجته العصبية. الكثيرين في كريستيانيا يرون أن المسرحية صورة عن حياة إبسن الزوجية. ثم تأتي هيلدا وانجل (ربيبة لإيليدا وانجل في مسرحية السيدة من البحر) كنسيم في حياته. سولينيس هذا الرجل الذي هو في منتصف العمر، استيقظ كرجل وفنان على حدّ سواء. كلّ شيء سينتهي مع هيلدا وانجل حين تحرضه للصعود إلى الجزء العلوي من المبنى الجديد الذي شيده، رغم أنه يخاف من الأماكن العليا. كانت في أسفل البناية تصيح إليه:

«إنني أسمع أغنية. أغنية رائعة للغاية! (تصيح بابتهاج وفرح) انظر، انظر! الآن انه يلوح بقبعته! ينحني محييا إليها! أوه، تردّ إليه التحية مرة أخرى! والآن انتهى كل شيء انتهى! (تمزق شال أبيض، تلوح به وتصرخ بشكل تصاعدي.) يعيش السيد سولينيس البنّاء!»

فيقع البناء ويخرّ ميتا. بطريقة غريبة أو بأخرى لم يكن الأمر حزينا عندما لفظ أنفاسه، لأنه قبل أن يغرق في الموت وجد في نفسه العودة إلى الشباب.

كثيرا ما كان إبسن منكسر النفس حين يرى غرابة النقاد والجمهور في تفسير مسرحياته. في حوار مع ارنست موتزفلت يقول:

ألا يمكننا الذهاب فقط لقراءة ما كتبت. كان إنسانيا بكل معنى الكلمة. أنا لا أكتب بطريقة رمزية. وإنما أصور فقط حياة الروح، كما أعلمها أكتب علم النفس، إذا أردت... أنا في الواقع أصف الناس الأحياء».

في نفس الحديث فسّر ماذا كان يعني بالحب الغير السعيد. يقول، الحب الغير السعيد ليس ذلك الشخصين اللذان يحبان بعضهما البعض ولم يجتمعان سويا تحت سقف واحد ولكن:

«الحب غير السعيد هو اثنان يتزوجان ويشعران أنهما غير ملائمين لبعضهما البعض ولا يمكنهما العيش في سعادة سويا.»

مسرحية أيلوف الصغير، حول زوجين ألفريد ويتا ألمرز وابنهما الطفل أيلوف. أيلوف شبه مشلول لأنه سقط من على طاولة يوما كان الوالدين يحبانه. ذلك الحادث أدى

بألفريد أن يبتعد عن زوجته الجميلة والشهوانية. اشتغل في أطروحة فلسفية حول«مسؤولية الإنسان» في نهاية المطاف سيقدم هذا العمل لتكريس نفسه كليا لابنه. وجد أن الأمر ذو معنى لمساعدة أيلوف المعاق ليستطيع أن يعيش حياة كريمة بدلا من الكتابة.

الأخت غير الشقيقة لألفريد ، آستا آلمرز، كانا غالبا في المنزل. الإخوة النصف أشقاء كان لديهما ارتباطا وثيقا ببعضهما البعض، كان هناك انجذابا شهوانيا بينهما. في نهاية المطاف ، يتبين أن الاثنين ليست بينهما صلة ، لكن فقط آستا التي كانت تعلم بذلك.

ريتا تشعر بغيرة من كل من ابنها ونصف شقيقة زوجها. تريد زوجها تماما لنفسها فقط. في هذه المرحلة تقول إنها تتمنى الموت لإيلوف. وذلك ما حدث بالضبط، بعد ذلك سيموت. عكاز كانت تطفو على سطح الماء.

آستا آلمرز تغادر مع مهندس لتتزوج منه. ريتا وألفريد يقرران البدء من جديد. يريدان يكرسا حياتهما لرعاية الأطفال الفقراء في ذلك المكان. هكذا يتخلصان ربما من الشعور بالذنب والحزن على إيلوف الصغير.

مثل البطة البرية يدور الموضوع كذلك عن إيلوف الصغير الذي يجب أن يموت بسبب الكبار الذين ليسوا قادرين على إدارة حياتهم الخاصة. لكن في الغالب الموضوع عن ألفرد آلمرز وصراعه من أجل عيش حياة ذات معنى.

لمدة عشرة أشهر ، تقريبا كل السنة ١٨٩٥ ، عاش الزوجان إبسن بعيدين عن بعضهما. ذهبت سوزانا إلى جنوب تيرول مع سيجورد. لكن القيل والقال عن إبسن وعلاقته مع هيلدور أندرسن مستمرا على قدم وساق. كان إبسن يكتب باستمرار إلى سوزانا. لكن الشائعات عن هيلدور وصلت إلى زوجته. ومن طبيعة الحال شعرت بالغيرة وليس فقط من هيلدور، كذلك من الخادمة لينا ياكوبسون. حاول إبسن أن يهدأ من روعها لكن دون جدوى.

عندما رجعت سوزانا إلى المنزل، انتقلوا إلى شقة جديدة في شارع آربيين. أوقفت الخادمة عن عملها، ومرة أخرى تصبح سوزانا رئيسه في بيتها. الشقة الجديدة كانت مكلفة وأنيقة. هنا عاش إبسن إلى حين وفاته.

علق إبسن صورة كبيرة جدا للكاتب المسرحي السويدي أوجست ستريندبرغ في غرفة عمله. رسم الصورة كريستيان كروغ.

كان ستريندبرغ أحد المعجبين بإبسن ، وأيضا منافسا له. كان يؤمن بأن بيرجنت وبراند من أكثر المسرحيات القيمة التي كتب ابسن. بعدها أصبح إبداعه في الانحدار.

وقال انه يشعر بالسخط لنظرة إبسن من النساء، وقال انه يعتقد أن بيت الدمية تعتبر أكبر خيانة للرجل. طوال ١٨٩٠ كان يتحدث على نحو مهين لابسن، لكنه قرأ كل ما كتب إبسن بعناية فائقة.

هناك العديد من الذين فوجئوا بأن إبسن يريد لوحة منافسه الأكثر اغتياظا على الجدران. وضع إبسن عنوانه على اللوحة، «ثورة الجنون» شرح سبب شراء اللوحة، وهو أنه يحتاج إلى نظرة ستريندبارغ المجنونة إليه حتى يعمل جيدا. قال بأن ستريند بارغ يجب أن يعلق هناك وأراقبه، لأنه عدوي للموت.

قيل إن سوزانا كانت تحرص على أن يجلس إبسن في مكتبه كل صباح الساعة التاسعة بالضبط. الساعة الحادية عشر يسمح له أن يتوقف عند أول جزء من كتابته. يضع ساعة الجيب أمامه على الطاولة، وحين يحين الوقت، يتوقف مباشرة حتى ولو كان في منتصف الجملة. ثم يرتدي معطفه الأسود وقبعته الرسمية، يأخذ معه مظلة ، ويمشي في الطريق القصيرة إلى جراند، وفي طريقه إلى هناك كان دائما يقف أمام الساعة الكبيرة على بناية الجامعة ويتحقق من أن ساعته مضبوطة. ثم بعدها يمضي إلى جراند بالضبط الساعة الثانية عشر زوالا. هناك مائدة فارغة تنتظره. خلف الكرسي توجد لوحة مثبتة باسمه. يأتي النادل بكأس من الجعة، طلب خاص من ميونيخ، وكأس من البراندي. وتقدم له الجرائد التي يقرأها في صمت. كان من النادر جدا أن يتقدم إليه شخص، وإن حدث ذلك غالب الأحيان ما يكون على وشك أن يطرد.

سواء على الرصيف وداخل المقهى، كان هناك دائما الناس الذين يأتون لرؤية إبسن. قيل إنه كان في ذلك الوقت ثلاث أشياء تجذب السياحة في النرويج. أولها الجبال ، وثانيها سفينة الفايكنغ التي اكتشفت حديثا، والثالث كان إبسن.

الانكليزي ريتشارد لاجالين كان أحد السواح الذي رأى ابسن. يقول: المقهى الكبير

كان مليئا حدّ الفيضان. لكننا وجدنا مائدة جيدة في وسط الممر وليست بعيدة عن الباب. لم يكن علينا أن ننتظر طويلا. من خلال الباب، وبالضبط عندما دقت الساعة الواحدة، طلّ ذلك المنتصب، منفوخ الصدر الذي كل العالم يعرفه بصورته الكاريكاتورية – الكاريكاتير الذي ليس مبالغا فيه، تماما كما في حالة سوينبورنس، هو ذلك الرجل نفسه.

سوالف كبيرة تعجّ منتصبة بخشونة حول ذلك الوجه الشاحب والسريع الغضب، كما لو كانت مكهربة، وتلك القبعة الرسمية الخالية من العيوب ولفاع الرقبة الأبيض، شكل ثوب المعطف المتحدلق، والذي من أعلى إلى أخمص قدميه أسود ومن الطراز القديم، مأتمي ومهني في نفس الوقت، سروال منثني، كما يظهر أنيقا بوضوح وعن قصد، عند الكاحل وفوق الحذاء الملمع، وتلك المظلة الملفوفة بعناية -- كل ذلك يقف فجأة أمامي حيا، شخص عنيف ناقم بهيئة صامت، رسمي، مبجل، صلبا كالعصا.

هناك كان واقفا، بلمسة من الدادية الكئيبة بداخله، ولكن من غير لمسة إنسانية حميمة رقيقة عن طريق الجلد وفي عينيه المتوهجتين والغريرتين. وكأنه كهل اسكتلندي يخطو داخل كنيسة.

بمجرد أن دخل وواصل بخطوات مصممة نحو المائدة المخصصة له منذ الأزل، ولا أحد يحلم أن يجلس بجانبه، فجأة يحدث شيء-- بالنسبة لي وكأنها فقط الأنجلو ساكسونية- جديدة وجميلة – كرجل يدير القهوة على الساقين كما هو الحال مع كبار السن، وشخص مجهول بالقرب مني، يتكلم اللغة الانجليزية بوضوح ويعرف من أين جئت، يبلغني بصوت عال ولكن به احترام وتصريح.« هذا شاعرنا الكبير، هنريك ابسن.» الكل ظل واقفا حتى أحذ مكانه وكأننا في حضور ملك، وكان تساؤلي كبيرا في شعب يحيون رجالهم الكبار بهذه الطريقة.»

بعد أن أفرغ كأسه وقرأ الصحف توجّه إلى منزله في شارع آربيين. وأخذت قسطا من الراحة على الأريكة في غرفة عمله. تقول سوزانا، انه لا ينام، على رغم من أنني أسمع كثيرا شخيره، يستمر في عمله.

عن غير ذلك فالحياة الزوجية تبدو نسبيا وكأنها ميتة. كل منهما يقيم في جناحه بتلك الشقة الواسعة بالنهار. زوجة أب سوزانا، ماجدالينا تورسن، زارتهم، تقول:

يجب أن تكون حياتهم رائعة وأنيقة، لكن في الواقع يعيشون في صمت، لأنهم شخصين وحيدين كل منهما منزو مع نفسه في وحدة مطلقة.

قضت سوزانا الشتاء في الخارج.

هل فكر إبسن في حياته الزوجية عندما أوضح ما يعنيه بالحب التعيس؟ العديد من أولئك الذين يعرفون الزوجين تحدثوا عن مدى اعتماد إبسن على زوجته. هي التي وفرت له الأجواء الجيدة لعمله. هي التي ساندته في السنوات الصعبة قبل النجاح. ليس من المؤكد أن إبسن سيصبح الكاتب المشهور عالميا من دونها.

إن كانت حياة سوزانا ذات معنى، ذلك لا نعرف عنه شيئا.

كتب إبسن مسرحيته التالية في شقته بشارع آربيين. الشخصية الرئيسية هو يون جابربيل بوركمان، مدير سابق في البنك. كان مسجونا بتهمة الاختلاس. يعتقد أنه أدين خطأ. عندما تبدأ المسرحية يكون قد خرج من السجن منذ ثماني سنوات. كل تلك السنين عاش وحيدا في بيت المزرعة بالطابق الثاني من منزل زوجة أخيه إيلاّ. في الطابق الأول تعيش جونهيلد زوجة بوركمان. لديهم ابن واحد، ارهارت والذي هو الآن في مرحلة البلوغ. كذلك في هذه المسرحية يتعرض الأشخاص لزيارة أشباح من الماضي، إيلا كانت الحب الكبير لبوركمان. لكن للحصول على الوظيفة كمدير للبنك، اختار الشقيقة التوأم جينهيلد. تنتهي المسرحية بذهاب بوركمان خارجا في الشتاء إلى الموت.

عندما احتفل إبسن بعيد ميلاده السبعين ٢٠ مارس، ١٨٩٨ ، رفعت الأعلام فوق المدينة. تلقى تحية من القصر الملكي عبر التلغرام، ومن فريديورت نانسن وبيورن ستارنا بيورنسن ومن الشخصيات البارزة من المدن الكبيرة في أوروبا. تدفقت رسائل تلغرافية و رسائل التهاني ، واحتفل بعيد ميلاد إبسن بعشاء كبير في كريستيانيا، كوبنهاجن وستوكهولم. خلال الحفل في ستوكهولم سيفتتن إبسن ذلك العجوز مرة أخرى بامرأة شابة كانت تزوره. هذه المرة تدعى أميرته روزا فيتينجوف.



■ النهاية



Henrik Ibsen

All or Nothing

عندما نستيقظ نحن الموتى كانت آخر مسرحيات إبسن. لكنه لم يفكر فى المسرحية بهذا الشكل. كان يريد أن تكون الأخيرة في السلسلة التي بدأت بمسرحية« بيت الدمية». يبدو أن إبسن مرة أخرى يريد أن يبدأ الكتابة بطريقة مختلفة.

في مسرحية «عندما نستيقظ نحن الموتى» نلتقي بأربع شخصيات، النحات الشهير أرنولد روبيك، زوجته الشابة مايا، وموديلته السابقة إيرينا وصياد الدببة أولفهايم. بالإضافة توجد شخصية شماسة.

كان إبسن مشغولا بلوحات إدوارد مونك ، وكان قد زار معارضه. وقد زعم أن ثلاث نساء في هذه المسرحية -- مايا ، ايرينا و الشماسة -- تمثل نفس النساء كما في لوحة مونك « نساء في ثلاث مراحل.» تماما كما في المسرحيات الثلاثة السابقة، نلتقي بزوجين لم تعد الحياة سعيدة بينهما كما في السابق.

تدور أحداث هذه المسرحية في منتجع ، ترحل مايا بسرعة مع صياد الدّببة أولفهايم. شخصية فجة تبدو عليه قوة مثيرة تفتن مايا. في نفس الوقت يلتقي روبيك مرة أخرى بالموديل إيرينا التي كان يوما تجلس كنموذج للتمثال الذي كان ينحته.

يظهر أن في الوقت الذي كانت فيه إيرينا تقف أمامه عارية حين كان يقوم بعمله الفني والذي سيعطيه شهرة في وقت لاحق، أحبته بعمق وهو أيضا كان يبادلها نفس الشعور. لكن روبيك لم يرد للحب أن يكون عائقا في مسيرة الفن، لذلك لم يلمسها أبدا. كان يخشى أن تتدمر قطعته الفنية إن لمسها. ترحل إيرينا عنه في النهاية. عندما يلتقيا بعد مرور عدة سنوات، يقوم روبيك بوقفة ذاتية. اكتشف أنه لم يعش أبدا في حياته، وأنه اختار الفن وليس الحياة. سينتهي الأمر به وإيرانا للذهاب إلى الموت سويا.

يظن الكثيرين أن إبسن اتخذ قرارا لنمط حياته في هذه المسرحية. ومن الواضح بالتأكيد ، كفنان أحسّ إبسن لا محالة أن أشياء كثيرة غابت عنه. لكن هل ندم على ذلك الاختيار ؟

عندما أصبح إبسن عاجزا للذهاب إلى غراند، كان مازال بحاجة للتنزه. منحه الملك مفتاح حديقة القصر والتي تقع تماما عبر الشارع الذي توجد به شقته. هناك كان يستطيع أن يمشي متنزها من غير إزعاج. كان إبسن فخورا بطريقة صبيانية بالمفتاح، حيث كان يريه للناس الذين يأتون عنده للزيارة.

لكن ما زال يزور جراند. حينها كان يأتي بعربة يجرّها حصان، وإن كان الفصل شتاء، وبحصان ومزلقة. كان يسأل سائق العربة أن يسلك الطريق المتوجه إلى المسرح الوطني الجديد ، حيث تمّ نصب تمثال له. أمام التمثال كان يسأل سائق العربة أن يتوقف ، حتى يلقي نظرة إعجاب على نفسه حيث قاعدة التمثال. لكن أغلب الأحيان يجلس بالقرب من نافذته في شارع أربيينس ويستكشف خارج المدينة. يوميا يجتمع الناس على الرصيف يحدقون إلى الرجل ذي الشعر الأبيض في النافذة. ومازال حتى الآن شخصية تستهوي السواح.

في عام ١٩٠٣ حصل بيورن بيورنسون على جائزة نوبل للآداب. إن عدم حصول إبسن على تلك الجائزة، أثار استغرابا حينها. أما اليوم فيبدو الأمر غير مفهوم البتة ؛ فإن

بيورنسون كمؤلف يكاد لا يقرأ اليوم.

عندما كان بيورنسون في ستوكهولم لكي تمنح له جائزة نوبل ، أراد الدخول إلى القصر من خلال باب جانبي. تم إيقافه من قبل الحارس. انزعج بيورنسون من عدم تمكنه من الدخول وقال ، «أنا أعظم شاعر في النرويج يا صديقي.» شعر الحارس بالحرج ، انتحى جانبا وقال : «بالتأكيد يا سيد ابسن.» وسمح لبيورنسون بالدخول.

أصيب إبسن بأول جلطة في عام ١٩٠٠. في نهاية المطاف ، لم يعد في استطاعته العمل؛ اليد التي تمسك القلم لم تعد تريد الكتابة بعد الآن. تعرّض لثلاث جلطات أخرى وساءت حالته أكثر.

في فبراير ١٩٠٦ ، أراد الممثلون توديعه، في ذلك الحين كانت إليونورا دوس في كريستيانيا. تعتبر هذه الأخيرة من كبار الممثلين الإيطاليين المشهورين، وقد سبق أن لعبت عددا من الشخصيات النسائية في مسرحيات إبسن. علاوة على ذلك ، كانت باهرة الجمال. رغبت في وداع إبسن، الذي كان يعني الكثير بالنسبة لها، لكن إبسن كان مريضا لدرجة يستعصي عليه استقبالها حسب رأي سوزانا. ظلت إليونورا دوسا واقفة لمدة طويلة خارج نافذته تاركة نفسها تتغطى بطبقة من الثلج.

توفي إبسن ٢٣ ماي ودفن ١ يونيو ١٩٠٦. تكلفت الدولة بمراسم الدفن، وكل من لهم شأن في المجتمع رافقوه إلى المقبرة وحتى من كانوا ينتقدون مسرحياته.

عاشت بعده زوجته سوزانا ثمانية أعوام. تركت مكتب عمله كما كان عليه حين كان حيّا، لم تضف إلاّ صورة لها في الحائط. لم تحرّك كرسيا. تقول موضحة إن غيرت شيئا لن يستطيع شبح إبسن أن يجد طريقه إلى الغرفة.

ظلت الغرفة كما هي إلى يومنا هذا.

عندما يقف المرء مدة طويلة وينظر داخل الغرفة، يظهر شبح إبسن خارجا.



خاتمة المطاف



Henrik Ibsen

All or Nothing

شيين _ يربن

١٨٢٨، ٢٠ مارس ولد هنريك يوهان إبسن في في مزرعة ستوكمان بشيين. أبوه كنود إبسن وأمه ماريشن (ولدت في ألتنبورغ).

١٨٣٥ سيتوقف الأب عن أعماله. وستباع الممتلكات في المزاد العلني. ستنتقل العائلة إلى مزرعة فينستوب في يربن.

١٨٤٣ يتعمد ابسن. سينتقل عائلته بعد ذلك إلى سنربتوب في شيين. يغادر إبسن أهله في ١٦ نوفمبر.

غريمستاد

١٨٤٣ . ٢٣ نوفمبر سيأتي الى غريمستاد. يصبح متدرب في صيدلية رايمان.

١٨٤٦ سيكون له طفل خارج الزواج.

١٨٤٧ سيمتلك لارش نيلسن الصيدلية. ينتقل إلى مكان آخر. يلتقي بكرستوفر ديو و أولا شولرود.

كريستيانيا

في عام ١٨٥٠ نُشرت كاتالينا على شكل كتاب تحت اسم مستعار برونيولف بيورنـا. سافر إلى كريستيانيا والتحق بمدرسـة في مصـنع الطلبـة بهيلتبـارجس. عربـة المحـارب عرضت من جديد في مسرح كريستيانيا. عمل استاذا في مدرسة الأحد للحركة الثرانيتيـة. التقى ببيورن ستيارنا بيورنسون، بول بوتن هانسن وأسموند أولافسون فينيا.

برغن

١٨٥١ انتقل إلى برغن حيث عمل كمدير تحريري في مدينة بـرغن لصـالح المسـرح النرويجي.

١٨٥٢ جولة دراسية إلى كوبنهاجن ودرسدن.

١٨٥٣ مسرحية الأدعياء عرضت في المسرح النرويجي ببرغن.

١٨٥٤ نشرت مسرحية عربة المحارب على شكل متسلسل في جريدة برغن.

١٨٥٥ مسرحية السيدة انجر من أوستروس عرضت بالمسـرح النرويجـي في بـرغن ونشرت بتسلسل في مجلة مصورة بعد سنتين.

١٨٥٦ مأدبة سولهاوج عرضت بالمسرح النرويجي في بـرغن ونشـرت عـلى شـكل كتاب. خطب سوزانا ثوريسون.

١٨٥٧ أيلوف الصغير عرضت بالمسرح النرويجي في برغن. عمـل مـدير تحريـري لصالح المسرح النرويجي في برغن.

كريستيانيا

١٨٥٨ محاربو خيلجيلاند عرضت في المسرح النرويجي في كريسـتيانيا ونشـركت بشكل متسلسل في جريدة الأخبار المصورة. تزوج بسوزانا ثوريسون.

١٨٥٩ ولد الابن سيغورد.

١٨٦١ قصيدة تيريه فيجن كحلقة في مجلة الأخبار المصورة، طبعة السنة الجديدة.

١٨٦٢ يفلس المسرحي كريستيانيا النرويجي. يسافر في رحلة دراسية إلى جودبراندس دالن وفيستلانّ. كوميديا الحب نشرت وعرضت بعد سنة في مسرح كريستيانيا. عين مستشارا في مسرح كريستيانيا.

روما

١٨٦٤ يسافر إلى روما ويقيم هناك.

١٨٦٦ يتم نشر مسرحية براند في كتاب. مكتبة جولدونـدال في كوبنهاجن، بقيادة فريديريك هيجل، الناشر لابسن. حصل على منحة تعليمية.

١٨٦٧ بير جنت نشرت في كتاب.

دريسدن

١٨٦٨ يسافر إلى درسدن ويقيم هناك.

١٨٦٩ فورة الشباب نشرت على شكل كتاب و عرضت في مسرح كريستيانيا. يسافر إلى مصر وحضر لافتتاح قناة السويس.

١٨٧١ قصائد تنشر في كتاب.

١٨٧٣ الامبراطور والجليلي نشر في كتاب.

١٨٧٤ سيزور كريستيانيا.

ميونيخ

١٨٧٥ يسافر إلى ميونيخ ويقيم هناك.

١٨٧٦ بير جنت عرضت في مسرح كريستيانيا..

١٨٧٧ أعمدة المجتمع نشرت في كتاب وعرضت في المسرح الملكي بكوبنهاجن.

روما

١٨٧٨ يرجع إلى إيطاليا ويقطن هناك.

١٨٧٩ نشرت بيت الدمية في كتاب وبعد سنة تعرض في المسرح الملكي

بكوبنهاجن.

١٨٨١ كاتالينا (١٨٧٥- الترجمة)عرضت في مسرح نيا في ستوكهولم. أشباح نشرت على شكل كتاب وعرضت بعد سنة في مسرح أورورا تورنر هول في شيكاغو.

١٨٨٢ عدو الشعب نشر في كتاب وعرض بعد سنة في مسرح كريستيانيا.

١٨٨٤ البطة البرية نشرت في كتاب وعرضت بعد سنة في المسرح القومي في برغن.

ميونيخ

١٨٨٥ براند تعرض في مسرح نيا في ستوكهولهم. زار النرويج. سافر على ألمانيا واستقرّ هناك.

١٨٨٦ نشرت مسرحية بيت روزمرز على شكل كتاب وبعد سنة عرضت على خشبة المسرح في برغن.

١٨٨٨ نشرت مسرحية السيدة من البحر على شكل كتاب وعرضت يعد ستة في مسرح كريستيانيا.

١٨٨٩ تعرّف على إيميلي بارداخ

١٨٩٠ نشرت مسرحية هيدا جابلر على شكل كتاب وبعد سنة تعرض في مسرح كريستيانيا.

كريستيانيا

١٨٩١ سافر إلى النرويج وسكن في فيكتوريا تراس في كريستيانيا. تعرّف على هيلدور أندرسن.

١٨٩٢ نشرت مسرحية شيخ البنائين على شكل كتاب وبعد سنة عرضت في مسرح ليسينغ في برلين. سيغورد إبسن تزوج من بارجليوت بيورنسون.

١٨٩٣ ولد تانكريد أول حفيد ابسن.

١٨٩٤ نشرت مسرحية أيلوف الصغير على شكل كتاب وبعد سنة تعرض في مسرح

دوتشز في برلين.

١٨٩٥ انتقل إلى شارع أربيين.

١٨٩٦ مسرحية يون جابرييل بوركمان نشرت على شكل كتاب وعرضت بعد سنة في المسرح النرويجي والمسرح الفينلندي في هيلسينجفور. الإمبراطور والجليلي عرضت في مسرح ستاد في ليبزيغ.

١٨٩٨ أصبح عمر إبسن سبعين سنة.

١٨٩٩ عندما نستيقظ نحن الموتى نشرت على شكل كتاب وبعد سنة تعرض بمسرح هوف في ستوتجارت.

١٩٩٠ تنتابه لأول مرة نوبة قلبية.

١٩٠٦ توفي في ٢٣ مايو.



الأدب

هنريك إبسن مجموعة أعمال ١—٢ (نادي الكتب النرويجي ١٩٩١).

الكتب الصوتية

السيدة انجر من اوستروود (راديو المسرح الأناركو ١٩٩٨) / دار نشر الكتب الصوتية ١٩٩٨.

محاربو هيلجيلاند (راديو المسرح الأناركو ١٩٩٩ \ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية ١٩٩٩).

ملك الجليل (راديو مسرح الأناركو ١٩٧٩ \ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية ٢٠٠٠).

براند (راديو مسرح الأناركو١٩٩٩ \ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية١٩٩٩).

بيرجنت(راديو مسرح الأناركو١٩٩٧\\ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية١٩٩٧).

اتحاد الشبيبة(راديو مسرح الأناركو ١٩٥٢ \ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية ١٩٩٩).

أعمدة المجتمع (راديو مسرح الأناركو \ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية ١٩٩٨).

بيت الدمية (راديو مسرح الأناركو ١٩٧١\\ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية ٢٠٠٠).

أشباح (راديو مسرح الأناركو ١٩٩٥ \ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية ٢٠٠١)

البطة البرية (راديو مسرح الأناركو ٢٠٠٠/ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية ٢٠٠٠).

بيت روزمرز(راديو مسرح الأناركو ١٩٨٥\\ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية ٢٠٠١).

السيدة من البحر (راديو مسرح الأناركو ٢٠٠٢\\ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية

٢٠٠٢).

هيدا جابلر (راديو مسرح الأناركو ٢٠٠١ \ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية ٢٠٠٢).

يون جابرريل بوركمان (راديو مسرح الأناركو ١٩٦٩ \ الأناركو دار نشر الكتب الصوتية ٢٠٠١).

الكتب الصوتية عن إبسن

أندرسن، ميتا موركن: كتيب عن إبسن (دار نشر حولدوندال ١٩٩٥).

بول، كوهت سايب: دراما إبسن (دار نشر جولدوندال ١٩٩٥).

دال، بير كريستيان هيجلوند: سترايفلوس. خمس دراسات لابسن (متحف إبسن ٢٠٠١).

دال، ويلي: ابسن (دار نشر أسكهاوج ١٩٧٤).

إدفردسن، إيريك هنين: حول هنريك (سفر التكوين ٢٠٠١)، نشوء، أصل، تكون.

فيرجوسون، روبرت: هنريك ابسن. بين القدرة والرغبة. (دار نشر كابلن ١٩٩٦).

هايبرع، هانس: ولد فنانا. صورة عن إبسن (اسكهاوج ١٩٦٨).

هاكونسون، دانييل: هنريك ابسن. الانسان والفنان (أسكهاوج ١٩٨١).

كوهت، هافدان: هنريك ابسن. حياة أدبية جزء ١ ، جزء ٢، (أسكهاوج ١٩٢٨-١٩٢٩).

مبير، مايكل: هنريك إبسن (جولدوندال ١٩٧١).

روكسوند، لايف ك: هنريك إبسن وبيئة المراهقة (جار نشر جرينلاند ١٩٩٨).

إيستا، فيجديس: « لغز الحياة التي لا تنتهي». قصيدة إبسن والدراما (اسكهاوج ١٩٩٦).

أنرشن، بير طوماس: تاريخ الأدب النرويجي (اونيفيرستيت فورلاغ ٢٠٠١).

بايير، هارالد وإيدفارد: تاريخ الأدب النرويجي (أسكهاوج ١٩٧٨).

فيدييستول م. فل: الأدب النرويجي في ألف سنة (الفريق الوطني لتعليم اللغة النرويجية (كابلن فاكتا ١٩٩٤).

الإنترنت

www.ibsen.net

هذا الموقع أكثر شمولا عن هنريك إبسن يتضمن وصلات لمواقع أخرى مهمة. هنا أيضا توجد معلومات مكثفة عن إبسن من وإلى ٢٠٠٦، حيث ذكرى مائة سنة عن وفاة إبسن ينبغي أن تكون بارزة.

www.skien.kommune.no

صفحات إبسن عن بلدية شيين وتحتوي عن المواد الأساسية الخاصة بابسن وشيين، معلومات عن المهرجان الثقافي لابسن وأمسيات ابسن، والقاسم الآخر الذي يستند إلى ابسن. هنا توجد أيضا معلومات عن ستوب شيين، لجنة والتي تعمل من ضمن أمور أخرى تمهيد لابسن للأطفال والشباب.

www.ibsen.org

في هذا الموقع يحتوي على ملخص لمتاحف إبسن الثلاثة: متحف هنريك إبسن (بشيين)، منزل إبسن / متحف مدينة (غريمستاد) ومتحف إبسن بمجينة (أوسلو). المكان يحتوي على معلومات للمتاحف الثلاثة والمواد الأساسية.

www.hf.uio.no/ibsenstenteret

وجد بمركز إبسن أكبر مجموعة من الكتب ومواد أخرى للكاتب وعنه. يتحدث الموقع عن محتويات المجموعة، وعن كيفية استخدام هذه المواد وعن جدول المراجع العالمي الخاص بابسن.

www.nb.no/html/ibsensamlingen

تمتلك المكتبة الوطنية مجموعة كتب ابسن، أكبر مجموعة في العالم من الكتب ومواد أخرى لابسن أو عنه، توجد في مركز دراسات ابسن. تحتوي المكتبة ما يزيد على ثلاث فروع من أنواع مختلفة من المواد عن ابسن. مجموعة الصور، مجموعة المخطوطات باليد، ومجموعة عن تاريخ المسرح.

هنا توجد مجموعة صور الكترونية للمسرح الوطني يحتوي على نماذج من إنتاجات إبسن التي عرضت في المسرح الوطني. الصفحات تعرض كذلك مشاهد للفنانين على خشبة المسرح ومختلف المسرحيات.



■ متحف إبسن



Henrik Ibsen

All or Nothing

متحف مقاطعة تلمارك وجرونلاند يتضمن فرعين يحتويان على ذكريات ابسن. في الفرع الأول مزرعة فينستوب حيث عاش من ١٨٣٥ إلى ١٨٤٣. شكل تلك المباني الخارجي كما كانت عليه أيام كان إبسن يسكن فيها. من الداخل أقيمت بعض التعديلات، ولكن يوجد الأثاث ومعدات المطبخ وصور وأشياء أخرى. علاوة على ذلك يستطيع المرء أن يرى غرفة النوم التي كان ينام فيها إبسن وأخيه. ما يجعل الانطباع القوي هي تلك العلّية المظلمة. تذكرنا بمسرحية البطة البرية عندما يكون المرء فوقا بعلّية مظلمة.

في الفرع الثاني من المتحف (الذي يوجد في بريكّي بمدينة شيين) المخصصة لابسن. هناك يمكنك أن ترى الشقة المفروشة التي في الأصل كان إبسن يعيش فيها في شارع أربيين بمدينة كريستيانيا. توجد أيضا دمية « بطقم ابسن» تتضمن البونجور، نوع من المعطف الطويل، قبعة ومظلة.

منزل إبسن بجريمستا هو صيدلية لارس نيلسن حيث كان يعمل إبسن من ١٨٤٤ إلى ١٨٥٠. كان يسكن بغرفة بداخل الصيدلية تستعمل في نفس الوقت مستودعا لسلعة الصيدلية وغرفة حراسة. في تلك الغرفة كتب إبسن مسرحية كاتالينا. وهناك كان يجلس مع صديقيه أولا شيليرود وكريستوفر ديو. هناك كانوا يشربون البنش من جرة المرهم. المائدة التي كانوا يجلسون حولها مستديرة والكراسي مازالت في مكانها، وبالإضافة إلى ذلك النسخة الأولى لمعظم أعماله ولوحاته.

شارع أربيين ١، هناك عاش إبسن سنواته حياته الأخيرة (١٨٩٥-١٩٠٦)، ويمكن أيضا زيارتها. وربما أهم شيء هناك هو غرفة عمله، لم يتغير بها شيء منذ تلك الفترة التي كان يجلس فيها إبسن ويكتب. تماثيل الشيطان فوق المنضدة والكتاب المقدس في حالة مفتوحة على طاولة الصفرة. يمكن أيضا رؤية المكان التي كانت تقضي فيه سوزانا يومها والسرير حيث توفي ابسن.

يمكن للمرء أن يشتري أشياء تذكارية عن إبسن في كل المتاحف مثل الكتب الأدبية عنه، كتب صوتية، بطاقات بريدية، تمثال نصفي لإبسن (في شارع أربين)، شرائط فيديو وغيرها.يوجد بالإضافة إلى ذلك صور فوتوغرافية مختلفة لإبسن. علاوة على ذلك يوجد مرشدون ممتازون في كلّ المتاحف.



■ رؤية مصرية لمعنى مسرحية هايدا جابلر

بقلم الدكتور علي الراعي

قبيل ختام الفصل الأخير من مسرحية «هيدا جابلر» تقول هيدا لصديقها العجوز، القاضي براك: «ما أكاد أمسك شيئا حتى تلحقه الزراية وتركبه الخسة، كأنما هما لعنة».

تقول هذا وهي تتأمل كيف سعت إلى ما ظنته الجمال، فخاب سعيها. أرادت أن يموت حبيبها السابق ميتة جميلة، بالمسدس الذي أعارته له، فمات لوفبورج ميتة الأنذال، في مشاجرة مع مومس كان قد قضى في بيتها الليلة السابقة.

وتاقت هيدا إلى أن يكون لها السلطان على أصدقائها من الرجال وعلى زوجها، فانتهت قصتها على عكس ما قدرت.

صديقها العجوز براك يهددها بأن يفشي سر المسدس الذي أعطته للوفبورج وأن يلطخ سمعتها بالوحل في قضية تنظرها المحاكم، إذا هي لم تستسلم له.

وزوجها، الذي كان لها مطية ذلول حتى قرب نهاية المسرحية، يشغل عنها تماما بمحاولة إنقاذ مخطوطة صديقه لوفبورج من الضياع، ويجد رفقة وإلهاما في صحبة مسز الفستيد، صديقة لوفبورج.

وهكذا تفغر النكبة فاها في جه هيدا، ويطالعها الموت بوجهه الكشر، فما تجد بدا من الاستسلام له.

إن الموت وحده هو المفر أمام الشخصية الانتحارية التي تمثلها هيدا أحسن تمثيل.

***

وما من شيء في حياة هيدا كان يمكن أن يؤدي إلى غير هذه النتيجة. لقد ولدت في طبقة محدودة التجربة، ضيقة الأفق، تعتمد في سلطانها على المظهر السالب للقوة، ألا

وهو الإكراه واستعراض العضلات.

وفي هذا الصدد تعطينا مس تسمان، خالة زوج هيدا، صورة طريفة لهيدا وهي في طور البلوغ، يوم كانت تركب جوادا وتسير به إلى جوار أبيها الجنرال وقد وضعت في قبتها ريشة لا ريب أنها كانت طويلة، وارتدت ثوبا أسود، يتخيله المرء جميلا، وإن كان بسيطا وصارما يناسب هيدا المراهقة القاسية الفؤاد، المصممة على فرض إرادتها على الناس أجمعين.

ويلخص برنارد شو، في تحليله لشخصية هيدا، أهداف الطبقة التي تنتمي إليها البطلة فيقول: إنها الجري وراء المظهر الاجتماعي والزوج الغني.

وقد عدت هيدا طويلا، ولا ريب، وراء هذين الهدفين، ثم آبت من طول عدوها بالفشل التام، بل بما هو أسوأ من الفشل. عادت بزوج عاطل من المواهب، فقير، غير ذكي، اضطرت إلى أن تتزوجه اضطرارا، من فرط السأم!

وهي نفسها تحدث براك بقصة زواجها فتقول: إنها كانت قد أشرفت على نهاية المطاف، ورقصت في حقل الحياة حتى ملت، ثم إذا بهذا الأحمق الطيب القلب يدخل دائرة حياتها.

وهو باحث لا يسأم، فقدرت هيدا لنفسها أنه لابد واصل يوما إلى ما يسعى إليه من مركز. ثم إنه أصر أشد الإصرار على أن تسمح له بالإنفاق عليها، فكيف كانت مستطيعة أن ترفض، وأصدقاؤها الآخرون ومعجبوها لم يعرضوا عليها قط الزواج؟

على أن تسمان طيب القلب، أليس كذلك؟

ويجيب براك على سؤال هيدا: إنه طيب وجدير بالاعتماد عليه.

فتعلق هيدا على قوله هذا التعليق المر المهين:

- ثم إنني لا أرى فيه ما يدعو للسخرية. أم تراك تجده حقيقا بالهزء؟

***

تزوجت هيدا إذن من شخص تحتقره من صميم فؤادها، وتراه غير كفء لها، حسبا

أو ذكاء.. تزوجته بدلا من أن تصبح عانسا سرعان ما تهرم وينفض من حولها المعجبون.

ومنذ البداية تصمم هيدا على ألا يكون لها به أو بأسرته شأن. تتعمد في الفصل الأول أن تهين خالته، وتخلط أمورها بأمور الخدم، وتتظاهر بأنها ظنت القبعة الجديدة للخالة، قبعة إحدى الخادمات، لكي تطعن الخالة في كبريائها، وتمنعها أن تنظر إليها نظرة الند، بله القريب.

ويا ليت هيدا رضيت بما قدر لها، وقررت أن تتحمل نتائج ما اتخذت من قرارات، كما تدعي لصديقها براك في الفصل الثاني، فالواقع أنها لم تستسلم قط للمصير الذي حددته لنفسها حين شاركت تسمان حياته، ودخلت معه دائرة الطبقة الوسطى.

إنها تسأل براك: ألا يمكن أن تقهر زوجها على الاشتغال بالسياسة؟ فلما يوضح لها براك أن هذا يتنافى أصلا مع طبيعة زوجها، تشعر بشيء من خيبة الأمل، ليس لأن لها اهتماما أصيلا بالسياسة وشئون الحكم، بل لأنها إن لم تدفع زوجها في هذا الطريق فلن تجد ما تفعله، وسيقتلها السأم ولا شك.

ولما يذكرها براك، من بعيد، بأنها أنثى، وأنها جديرة أن تنجب الأطفال بعد وقت يقصر أو يطول، تسكت فورا، وتؤكد له أنها ليست مؤهلة قط لهذا الانشغال الأنثوي!

ويسألها القاضي العجوز عما هي مؤهلة له إذن فتقول: إن موهبتها الوحيدة هي أن تضيق على نفسها وتغلق على روحها النافذة والباب، حتى يسلمها فرط السأم إلى الموت.

***

هيدا إذن امرأة ناقصة الأنوثة، امرأة شاذة عاطفيا، وجنسيا. إنها تكره الحب، وتمقت الجنس، ولا تريد أن يكون لأحد عليها حق، حتى ولو كان هذا الأحد زوجا، أو صديقا أو ابنا.

من أجل هذا كاد يفوتها قطار الزواج. ومن أجله أيضا انفض من حولها المعجبون ولم يتقدم أحدهم يطلب يدها، فيما عدا الثور الطيب القلب، الذي قبلته بديلا من الموت سأما!

ويفتح شذوذ هيدا العاطفي والجنسي الباب على مصراعيه أمام التأويل والاستقراء.

فهي عند كينيث تاينان، الناقد الدرامي اللامع، امرأة عقيم، مفترسة في عقمها، فكأنما هي جرادة في أحد المروج، تأكل كل ما تقع عليه من زرع نضير، وتحل محله الخراب.

وهي عند الكاتبة جيني لي ليست امرأة، بل سلاحا فتاكا. إنها هي نفسها ذلك المسدس الذي يحكم أحداث المسرحية، ويبرز وسطها كسيف القدر. والمسدس في رأيها هو بطل المسرحية، بدلا من هيدا جابلر. إنه بدوره رمز لشيء أكبر منها، هو العاطفة الجنسية المكبوتة عند هيدا. إن هذا المسدس يرمز، في رأي جيني لي كما ترمز أوراق العنب التي تريد هيدا أن يزين بها لوفبورج رأسه، إلى اللذة الجنسية وما يصحبها من مباهج.

وهذا يجرنا إلى تأويل آخر. أترى هيدا جابلر هي إحدى الأنثيات المريضات اللواتي يقول عنهن فرويد إنهن يمقتن أنوثتهن،ويشعرن برغبة جارفة في أن يصبحن رجالا، حتى لتدفعهن هذه الرغبة إلى تمني أن يكون لكل منهن أعضاء تناسلية ذكرية؟

وهل هذا هو السر السيكلوجي الخفي وراء تمسك هيدا بالمسدس والتصاقها به كل هذا الالتصاق، وإعطائه هدية ثمينة للوفبورج، ثم اللجوء إليه كوسيلة خلاص عذب من حياة مرة؟

إن للمسدس، بالطبع، معنى أشد من هذا وضوحا في مسرحية هيدا جابلر. فهو رمز القوة المدمرة التي بنت هيدا عليها حياتها. وهو أيضا رمز السلطان الغابر الذي زال ظله يوم مات والد هيدا، وتركها تهبط السلم الاجتماعي درجة درجة حتى انتهت إلى السفح الذليل الذي يعيش في "البورجوازيون.

ولكن هذا المعنى الواضح للمسدس لا يَجُبُّ المعنى الذي تحدد جيني لي معالمه، بل إن المعنيين ليتداخلان، ويفني الواحد منهما الآخر.

***

وترفض هيدا فكرة الأمومة، وترى فيها قيدا، وتبعة. وهذا يوضح ناحية أخرى من نواحي شخصيتها المعقدة، ألا وهي فرديتها المتطرفة.

إنها تصر على أن تعيش دون أعباء، فتتخفف من الحب، ومسئوليات الزواج، ومن الأمومة، بل ومن النتائج التي لا مفر من أن يجر إليها غزلها مع لوفبورج تارة ومع براك تارة أخرى.

إن تعد براك حدود هذا الغزل فالمسدس ينتظره. وإن هددت علاقتها بلوفبورج أن تتحول إلى حب جاد، فطعتها على الفور، وتخلت عنها وعن لوفبورج.

ويقول هذا الأخير معلقا على خصم هيدا لعلاقتها به: أنت فعلت هذا لأنك في قرارة نفسك جبانة. وتوافقه هيدا قائلة: جبانة إلى حد مريع.

وهنا يتضح لنا السر الذي يكمن وراء فردية هيدا المفرطة. إنها لا تنبع عن قيمة إيجابية، هي الوثوق بالنفس، بل تصدر عن خوف من الحياة وكراهة لها.

ولأن هيدا تكره الحياة وتخافها، نجدها تهوي بسوط حقدها على كل ما هو جميل، وخلاق، ورائق في الحياة. تفرق ما بين لوفبورج ومسز الفستيد، لأن علاقتهما قد أدت إلى شيء إيجابي يغيظ هيدا أشد الغيظ. هو مخطوطة لوفبورج، التي تبشره بالصيت والجاه والمركز المرموق.

تصب هيدا جام غضبها على هذه المخطوطة لأنها - كالطفل - ثمرة حب بين طرفين. وهي تكره هذا الحب وتدفعه عن نفسها وعن غيرها في آن واحد.

وتحرق هيدا المخطوطة وهي تردد لنفسها ما هو أشبه بالترنيمة السحرية: «هأنذا أحرق طفلك يا ثي. أنت بشعرك المموج. طفلك وطفل إيليرت لوفبورج. ها أنذا أحرقه.. أحرق طفلك».

إنها هنا تنتقم من الحياة ذاتها، بحرقها فكرة الخصوبة والإنجاب، وتؤكد في الوقت ذاته شدة رغبتها في أن تظل، ويظل غيرها، أفرادا وحيدين، غير مزدوجين..

***

تصف الآنسة براد برووك مسرحية «هيدا جابلر» بأنها: دراسة لامرأة تعيش في الفراغ، وتردد قول وليم آرتشر، الناقد المسرحي البريطاني الذي كان أول من أدخل إبسن إلى إنجلترا، بأن المسرحية لا تثير مشكلة ما.

وقد يكون من الأقرب إلى الحقيقة أن نقول إن المسرحية لا تدعو إلى حل مشكلة ما، ولكنها في الوقت ذاته تدرس مشكلة بعينها دراسة درامية فاتنة.

وصحيح أن إبسن لا ينتهي من هذه الدراسة بمغزى قوي واضح، يضع تحته خطين بالحبر الأحمر، ولكن هذا لا ينفي أنه قد ارتاد مشكلة المرأة المحبوسة الطاقات، وجاء من ريادته بكنوز من المكتشفات حملها لنا في أشكال درامية فاتنة، بل ومعجزة.

وحقيق بنا في هذا الصدد أن نشير إلى قدرته الخارقة على ربطنا ربطا وثيقا بمسرحية لا يكاد يحدث فيها شيء. إننا إذا شئنا أن نقص ما يحدث في المسرحية وجدناه قليلا حقا. فهذه زوجة تعود من رحلة شهر العسل مع زوجها، فتضع حاجات السفر في حجرات البيت في الفصل الأول وتحاور صديقا قديما لها في الفصل الثاني، ثم تأتي صديقة من أيام الدراسة تزورها، وفي الفصل الثالث يزورها حبيب سابق، فيحدثها بالأيام الماضية ويتركها ليقضي سهرة عابثة، بعد أن تحاول جاهدة أن تعيد ربطه برباطها. وفي الفصل الرابع تكتشف الزوجة أن كل ما سعت إليه قد باء بالفشل. مات حبيبها السابق دون جال، وأوشكت أن تقع في قبضة حبيبها العجوز، واتخذ الزوج الخطوة الأولى نحو الاشتغال عنها بأشياء أخرى.

وهنا تنتحر الزوجة وتنتهي المسرحية.

وواضح أن إبسن لا يعوِّل هنا كثيرا على الأحداث المادية، وإنما تهمه تحركات الروح، وتطورات العاطفة.

إنه يقدم لنا دراسة درامية وإنسانية في صميم روح إنسانة معذبة، قد وضعتها ظروفها في وضع خاص، ركز عليه إبسن، وسلط عليه روحه التائبة، ووضع في خدمته أقوى أدواته الدرامية.

فلما انتهى من دراسته، أخرج هو الآخر مسدسا، وأطلقه على المسرحية برمتها، لا ليدمرها، فما يستطيع أحد، ولا حتى إبسن نفسه. أن يقضي على مسرحية أخاذة مثل هذه، وإنما ليمنع المسرحية من أن تكون مأساة.

فما قصد إبسن قط أن يكتب مأساة حين كتب «هيدا جابلر». وإنما أراد فقط أن

يدرس نفسا بشرية في ظروف بذاتها، وهو نفسه يقول هذا الكلام بالضبط في رسالة بعث بها إلى المترجم الفرنسي للمسرحية، فهو يحدد هدفه من المسرحية بقوله: «قصدت بها أن أصور الشخوص الإنسانية، وأحوالها النفسية، ومنازعها في ضوء مواقف محددة اتخذتها هذه الشخوص وتحت ظروف خاصة تمر بها».

ويذكر ادموند جوس أن إبسن فكر في كتابة «هيدا جابلر» عقب قراءته نبأ في إحدى الصحف عن امرأة انتحرت لمجرد أن الملل قد استبد بها.

فإذا قارنا هذا النبأ بما يحدث في المسرحية، لوجدنا أن إبسن قد أمسك هذا الموقف الحافل بالممكنات الدرامية،وأطبق عليه بيد من حديد، ثم راح يحدد ويخطط الشخصيات والحوادث النفسية والعاطفية ثم الاجتماعية، التي يمكن أن تؤدي بامرأة إلى الانتحار هربا من الملل، فجاء بناؤه للشخصية الرئيسية بالغ الإقناع، ونجح كل النجاح في أن يجعل القدر الذي يؤدي بهيدا جابلر إلى التهلكة متمثلا في بنائها الفكري والعاطفي، وظروفها الاجتماعية المحيطة والموروثة.

فلما نجح إبسن في كل هذا، أشار إلينا من طرف خفي بأن ما فعله لا يعدو أن يكون دراسة، وأنه ما قصد قط إلى أن يكتب تراجيديا،ولا أن يحاكي واقع الحياة في المسرح.

نجد هذه الإشارة الخفية لهذا كله في الجملة الأخيرة التي يلقيها براك في نهاية المسرحية. إذ يقول معلقا على موت هيدا: «يا رحمة الله! إن الناس لا تفعل هذا قط!».

فهذا إذن هو الدبوس الذي يشك به المؤلف بالونة المسرحية، فيخرج ما فيها من هواء ساخن، وتنخفض درجة حرارتها وتهبط من مأساة محتملة، إلى مستوى الكوميديا المرة، التي عرف بها بن جونسون، خاصة في مسرحية «فوليوني»، والتي تورط فيها شكسبير ذات مرة حين كتب «ترويلوس وكريسيدا».

الكوميديا الانتقادية، أو الوحشية كما تسمى أحيانا، التي يسعى فيها الكاتب إلى الهزء بشخصياته، والتشفي فيهم، ولا يكتفي بمجرد نقدهم وإظهار معايبهم كما يحدث في باقي ألوان الكوميديا.

وهي إلى هذا كوميديا لا يمثل جانب الخير فيها أحد. فكما لا يجد شكسبير في

«ترويلوس وكريسيدا» شخصية واحدة جديرة بالمجد أو مستأهلة للمرح، وكما لا يرى بن جونسون في شخصياته المختلفة إلا كل خنزير، السلاح -لا اللسان- هو خير سبيل إلى انتقاده، كذلك يستقر إبسن حواليه، في ذلك العالم الغريب الذي أبدعه في مسرحيته فلا يجد إلا كل ما يستحق الهزء والاحتقار.

الزوج تسمان، الذي كان يمكن أن يصوره إنسانا طيب القلب وحسب، وقع ضحية امرأة شريرة، نجده في المسرحية غبيا عاطلا عن المواهب إلى حد يحرمنا من متعة الرثاء له، ولوفبورج، الباحث الموهوب، تزري بشخصيته حيوانيته وإفراطه في اللذات، وضعفه الذي ينكبه سبيل الخلق والخير، ويدفع به إلى الانتحار.

وبراك، القاضي العجوز، مجرم في قرارة نفسه، بارد الأعصاب، فاقد الإيمان بكل ما هو خير وشريف.

ومسز الفستيد، التي تقوم أساسا بنفس الدور المجيد الذي تلعبه نورا في بيت الدمية، يصورها إبسن تصويرا هستيريا يجعلنا نسخر منها، ولا نعطف نحوها قط، ثم هو إلى جوار هذا يجعلها امرأة ضعيفة القياد، تبيع نفسها لزوج عجوز لتجد لنفسها وظيفة، ثم تهرب مع رجل لا هو يقل عنها ضعفا ولا هو يحبها!

وحتى الخالة مس تسمان، يراها البعض هزلية، ويجد في انكبابها المفرط على تسمان نوعا من البله المضحك، خاصة وأن الذي تتعلق به كل هذا التعلق هو على ما نعهده من وضاعة شأن.

لعلها لحظة غضب ومرارة حددت الجو النفسي في هذه المسرحية، كما سبق أن حددته في مسرحية أخرى من مسرحيات إبسن هي: «عدو الشعب» حيث يتحول دكتور ستوكمان إلى عدو للإنسانية، لا يغفر ولا يقدر، من أجل أن أحدا من المحيطين به لم يفهم طيبة نواياه.

***

وكلمة عن التكنيك في هذه المسرحية، أعد بألا تطول!

فهي علاوة على أنها تستخدم الخطوط العريضة التي حددها إبسن لنفسه، وأهمها

استخدام ماضي الشخصيات وسيلة فعالة، ومتزايدة التأثير لدفعهم قدما نحو مصيرهم المحتوم، بحيث يصبح ماضي الشخصيات في النهاية هو القدر الذي لا يملكون منه فرارا – إلى جانب هذه الطريقة التراجعية من طرق رسم الشخصيات وتحديد مصائرها، نجد إبسن يستخدم هنا بسهولة، ودون كبير رغبة في إخفاء ما يفعل، الحيل الفنية المعروفة عن المسرحية المحكمة الصنع.

يفعل هذا وهو واثق من أنه سيحول المكاسب الميكانيكية التي حققتها المسرحية المحكمة الصنع، إلى مكاسب بالغة الحيوية والأهمية للمسرح الحديث.

وللناقد تاينان في هذا المقام مقارنة طريفة بين ما فعله إبسن بقصة هيدا جابلر، وبين ما كان يمكن للكاتب ساردو. أحد عمد هذه المسرحية المحكمة الصنع، أن يفعله بهذه القصة نفسها.

يتخيل تاينان هيدا وقد تزوجت من رجل عجوز، يهمل شئونها فتتجه بعواطفها إلى حبيب لها سابق، تنتزعه من امرأة أخرى، ثم لا تلبث أن تفقده، فتهدده بإفشاء أسرار عنه تعرفها، حتى لا يجد مناصا من الانتحار.

وهنا تلتفت هيدا إلى زوجها العجوز، فيؤثر فيها نبله وصبره عليها، وتثور عواطفها فتقرر هي الأخرى الانتحار تكفيرا عما قدمت يداها.

الأحداث الرئيسية في قصتي إبسن وتاينان واحدة، والعلاقة بين الشخصيات لا تخرج عن المثلث المشهور في المسرحيات الفرنسية، والذي ينتظم الزوج والزوجة والعشيق، ولكن النظرة إلى الموضوع وإلى الشخصيات، هي التي تميز قصة إبسن وترفعها عن المستوى العادي الذي تقف عنده المسرحية المحكمة الصنع.

إن إبسن ينظر إلى شخصياته نظرة أكثر عمقا، ولهذا فهو لا يرجع مغامرات هيدا وترددها بين العشاق إلى مجرد إهمال زوج لها، بل يرى وراء هذا التردد ما هو أكبر منه وأعمق، يرى حيرة روحية ما بعدها حيرة، وعقما في العاطفة وفي الفكر، ورغبة في التدمير هي الوجه السالب لرغبة حبيسة في نفس هيدا، تنزع بها إلى الخلق ولا تجد لها متنفسا.

كذلك لا يقنع إبسن بجعل الزوج مجنيا عليه، فإن هذا تبسيط للموقف والشخصية معا، ونزوع إلى استخدام الكليشيهات في تصوير علاقات الناس. ولهذا نجده يصور الزوج طموحا وغبيا في وقت واحد. هو عنده فراسة ضعيفة، كليلة النظر، تسعى إلى ما تظنه نورا وهاجا، وهو في الواقع نار ضارية تهدد بأن تحرقها.

أما العشيق، فهو عند إبسن أكثر من مجرد طالب لذة. إنه هو الآخر محير بين الرغبة في الخلق، والضعف الأصيل الذي يدفعه إلى الاصطدام بالشر المحيط به.

فإذا ما نجح إبسن في النظر بهذا المنظار الجديد إلى شخصيات المسرحية المحكمة الصنع وإلى موضوعها، لم يعد يضيره أن يبقي على العناصر الفنية الأخرى التي تزخر بها هذه المسرحية، واثقا من أن وجودها في مسرحيته سيضفي عليها مزيدا من التشويق والإمتاع.

نذكر من بين هذه العناصر: الميلودراما التي تجد أقوى تعبير عنها في حادثة إحراق مخطوطة لوفبورج، إن إبسن يستخدم هذه الواقعة رمزا ومؤثرا مسرحيا في آن واحد. ولو تأملنا الحادثة تأملا بصيرا لوجدنا عشرات من أمثالها في المسرحية المحكمة الصنع، تقع وثيقة هامة في يد عدو لشخصية ما، فيتآمر على الوثيقة، ويلقي بها في النار، فيحطم بهذا خصمه، أو يصيبه بضرر كبير.

ها هنا يندمج عنصرا التآمر والإثارة معا، وهما عنصران هامان من عناصر «الميلودراما»، ويستمتع الجمهور بمرأى النار تلتهم شيئا عزيزا، ويرى رمز الشر تلقي ترانيمها السحرية حول النار، وتكاد ترقص رقصة وحشية تمجد الانتصار.

وإلى الميلودراما تنتمي أيضا تلك الخالة العجوز المشلولة، التي لا تفارق فراشها حتى تموت، وأختها الفائقة الإخلاص، الناصعة الأخلاق، التي تظل من أول المسرحية حتى منتهاها مخلصة للجميع، فإذا ما ماتت أختها، سعت إلى أن يحل محلها بشري آخر محتاج للعطف والرعاية!

هذا النقاء الخلقي المفرط من صفات الشخصيات الميلودرامية. يستخدمه إبسن استخداما مزدوجا. فهو يفيد من أثره الميلودرامي على الناس، وهو يسخر منه في الوقت نفسه لأنه غير واقعي، ولأنه يبلغ الحد الذي تنقلب عنده الأشياء إلى نقائضها، فيصبح الإخلاص بَلَهًا، والطيبة سذاجة، والإيثار نوعا من العجز عن الحياة.



■ نبذة عن المؤلف

ستاين إريك لوند

مؤلف كتاب هنريك إبسن

ولد ستاين إيريك لوند سنة ١٩٥٣. درس مهنة التدريس ثم دخل إلى عالم الكتابة سنة ١٩٨٢. عاش سنوات عديدة في منطقة باروم في ضواحي مدينة أوسلو وعاش سنوات عديدة في مدينة تونسبارغ بقيستفولد. حصل على الماجستير من جامعة أوسلو. ظل يعمل مدرسا منذ ١٩٨٠. أول رواية كتبها ستاين إيريك، بعنوان «لا شيء يهتز» رواية بوليسية بالتعاون مع الكاتب (هارالد شونسبترغ). صدر كتاب له للشباب سنة ١٩٩٧. بعدها ألف ١٢ كتاب أغلبها للأطفال وللشباب. كما كتب مسرحية ونصوصا غنائية للعديد من الفنانين النرويجيين. وترجم أيضا العديد من النصوص الغنائية للمغني (بوب ديلان) إلى اللغة النرويجية. يعمل مديرا ومستشارا لأب الطفل والشباب.

كتب ستاين إيريك لوند سيرة ذاتية للكاتب العالمي النرويجي (هنريك ابسن). سيرة فريدة من نوعها، مبسطة غير معقدة للأطفال بالتحديد. والهدف منها هو اطلاع الأطفال والقراء عمومًا على هذا الكاتب العالمي. استعمل الكاتب إيريك لوند أسلوبا سلسا وعرض بإيجاز شيق مسرحيات هنريك ابسن وحياته وما صادف من معاناة في وطنه النرويج. ثم المراحل التي مر عليها إلى أن وصل إلى شهرته العالمية.

مقدمة واسعة الاطلاع عن حياة هنريك إبسن

ما يلاحظه القارئ في بداية السيرة الذاتية، هو الأسلوب الشيق، البسيط والنزيه عن حياة الكاتب، وذلك لتسهيل الاستيعاب وفهم شخصية هذا الكاتب العالمي الذي يعتبر جزءا من التراث النرويجي. ركز ستاين إيريك على أهم مسرحيات إبسن والتي هي في الأصل معقدة محاولا التبسيط في عرض نماذج من مسرحيات إبسن وتاريخ هذه

الشخصية التي أبدعت في عالم المسرح. كتابات تعكس حياة الأفراد اليومية والأزمات التي يمرون منها، متخذا المجتمع ومتطلباته وما يفرضه من قيود آنذاك في إطار لخلق مسرحياته. مركزا على أعماله الدرامية أكثر من تسليط الضوء عن حياته الشخصية.

أن تضيء شمعة صغيرة خير لك من أن تنفق عمرك تلعن الظلام.

كل ما كان يكتبه إبسن كان مرتبطا بما شاهده في حياته من تجارب أو خاضها شخصيا. فكان يقدم إبداعه عن طريق قصيدة شعرية أو مسرحية تحمل تحت طياتها بعد فكري يسعى إلى تنوير الإنسان وتحرره والارتقاء بنفسه. كان يركز في كل كتاباته المسرحية أن الإنسان يتحمل مسؤولية كل ما يجري في المجتمع الذي ينتمي إليه. فصور من خلال مسرحياته غربة الإنسان بين أهله وفي مجتمعه. كما شخص صورة التزمت الذي كان يكبل المجتمع النرويجي ويكبح الفرد من الانطلاق إلى الحرية. من خلال ما كتب كان يشخص الضغوط الاجتماعية التي كانت وبالا عن الأفراد في المجتمع. الصراع بين الحرية والرجعية، بين الحديث والقديم. بين الضمير الإنساني وانعدام الضمير. صراع القوي على الضعيف. صراعات فردية واجتماعية تحت ظل الموروثات القديمة والبالية التي تحد من حرية الفرد وتجعله سجين الموروثات التي لا يستطيع الخروج عن إطارها وإلا أصبح عاقا للمجتمع ومنبوذا.

هيلمر: أنت زوجة وأم لأطفال قبل أي شيء آخر.

نورا: لم أعد أؤتمن بذلك، أو على الأقل هذا ما يجب أن أسعى إليه. صحيح يا تورفالد أن معظم الناس قد يتفقون معك، هذه الآراء تحتشد بها صفحات الكتب. أريد أن أزن الأشياء بوحي من فكري أنا. لا من فكر الغير وأن أرقى إلى مرتبة الفهم والإدراك.

هيلمر: أنني مستعد أن أواصل العمل ليل نهار بوجه باسم. وأن أتقبل الألم والفاقة بصدر رحب. من أجلك يا نورا. ولكن ما من رجل يقبل التضحية بشرفه في سبيل المرأة التي يحب.

نورا: آلاف من النساء أقدمن على التضحية.

هيلمر: أنك تفكرين وتتكلمين كطفلة لم يكتمل نموها.

(بيت الدمية الفصل الثالث).

كان ابسن واعيا على ماكان يسري عليه مجتمعه. وقدم من خلال نصوصه ما يحمل تغييرا نحو التجديد والمغايرة. دخل من خلال نصوصه إلى المحظور في تلك الفترة. في مسرحية «أشباح» بقدر ما كتبت بطريقة بسيطة بقدر ما كانت قوية، رجت المجتمع الاسكندنافي ولاقت منه رفضا تاما لعرضها على خشبة المسرح ولم تظهر لأول مرة إلا في شيكاجو ١٨٨٢ . تكشف المسرحية الزيف والتناقض الذي يتحجب به ضمير المجتمع تحت ذريعة الدين. في مسرحية «أشباح» ينتقد ابسن المجتمع و القس الذي يعتبر رجل الدين. هذا الأخير الذي يتهم الزوجة بالإثم وأنها اقترفت ما لا ينبغي اقترافه اتجاه زوجها الذي كان يراه القس مخلصا بينما هي كانت ترى زوجها عربيدا لا أخلاقيا ، كما أنه أقام علاقة لا شرعية مع الخادمة وأنجب منها طفلة. أرادت المرأة أن تبعد ابنها عن الفساد الذي يعم البيت، لكنه سيرجع إلى البيت بعد أن أصبح عمره ٢٥ سالكا سلوك أبيه ، حاملا في جسده مرضا مميتا. كما أنه كان يريد أن يقوم بعلاقة عاطفية مع ريجينا التي لا يعرف أنها أخته من أبيه.

هيلينا: الحقيقة هي أن زوجي كان فاسقا عندما مات تماما كما كان طوال حياته.

القس ماندورز: ماذا تعنين بهذا الكلام؟

هيلينا: لقد ظل فاسقا في شهواته بعد تسعة عشرة عاما من الحياة الزوجية كما كان عندما عقدت قراننا.

القس ماندورز: أتسمين اندفاعات الشباب تلك، وتلك الهفوات ... سميها إن شئت تجاوزات ... أتسمينها حياة فاسقة؟

هيلينا: هذا هو التعبير الذي استخدمه طبيبنا.

مسرحية أشباح الفصل الأول.

في المجتمع الغربي التي تطغى عليها النزعة الفردية ، تكون فيه أنماط الحياة معقدة وهذا ما كان سائدا في المجتمع الغربي المتزمت والخاضعة لحكم الدين تجعل الفرد يقف أمام خيار معقد. أن الشخص الذي يختار الحرية من اجل تحقيق تطوره عادة ما

يعتبر أسرته بل محيطه الاجتماعي جزءا لا يتجزأ من هذه العملية. انطلاق الحرية كان جليا بعد اندلاع الثورة الفرنسية تحت شعار « الموت أهون من العبودية» أن على المرء أن يختار حياته. لكن يبقى الفرد جزءا من جزءا من الأسرة والعشيرة، كما أن له واجبات في المجتمع. إذ يصبح اختيار الفرد للحرية مكلفا للمقربين إليه، وبالنتيجة السعادة لا يمكن للباحث عن تحقيقها بالسعي وراء حريته.

هيدا: نعم أنني اخضع لسلطانك، سيدي القاضي. من هذه اللحظة أنا تحت رحمتك.

براك: عزيزتي هيدا، ثقي في فإنني لن أسيء استغلال مركزي.

هيدا: أنني خاضعة لسلطانك على الرغم من ذلك. رهن إرادتك وعند طلبك. إنني سجينة، سجينة أليس هو الواقع، لم أحتمل هذه الفكرة! لا البتة!

مسرحية (هيدا جابلر) الفصل الرابع

فعلا تستطيع احتجازي هنا! لديك السلطة والإمكانية! وإنك تنوي ذلك أيضا! ولكن ذهني، وكل أفكاري وكل آمال روحي ورغباتها، كل هذا ليس في وسعك كبته! كلها سوف تواصل الدفعة والتحليق، نحو المجهول الذي خلقت من اجله والذي حرمتني منه.

مسرحية (سيدة البحر) الفصل الخامس.

أستطاع الكاتب ستاين إيريك لوند في هذه السيرة الذاتية لهنريك ابسن أن يسرد لنا وبإيجاز مشوق عن أحداث المسرحيات. موضحا رسالة هنريك لمجتمعه حيث أنه لم يترك معضلة اجتماعية إلا وتحدث عنها. ويكفي أنه كان أحدى شرائح المجتمع التي كان هو أيضا ضحيتها في سن طفولته.

رسالة ابسن ليس فقط لمجتمعه بل للعالم كله. أن حياة الطفل بين أيدي البالغين في حين يكمن مستقبلنا المشترك على أيدي أطفالنا شباب الغد. لذلك يتحتم التفرغ للطفل ومنحه من الوقت والرعاية وحفزهم وإرشادهم في مراحل نموهم. في مسرحية « البطة البرية» و «إيلوف الصغير» تظهر النتائج الوخيمة التي ترجع على الناس بالوبال والألم

لعدم مراعاتهم لأطفالهم. وحين يكون الآباء مركزين فقط على ذاتهم ومشاكلهم مهملين رغبات أطفالهم ومتطلباتهم.

الميرز: هل كانت هذه عين السوء التي تنظر إليك من أعماق المياه؟

ريتا: الفريد!

ألميرز: أجيبي هل ألقى عليك الطفل عين السوء؟

ريتا: ألفريد!

ألميرز: لقد أصابنا الآن، ما كنت تتمنينه ريتا.

ريتا: أنا؟ ماذا كنت أتمناه؟

ألميرز: حسنا من الآن فصاعدا، لم يعد بيننا.

ريتا: ربما الآن أكثر من ذي قبل. آه يا لها من صورة رهيبة.

مسرحية (ايلوف الصغير) الفصل الثاني.

يقول «ستاين إيريك» في مقدمة هذه السيرة الذاتية . لا يمكن للمرء أن يقرأ أو يشاهد مسرحية ابسن لمجرد المتعة. كتابات ابسن تضع الأصبع دائما على جوانب بدواخلنا التي ربما لا نحبها أو لا نريد الاعتراف أنها فينا. لذلك دائما يكون مؤلما التعرّف على ابسن. ولكن إن نجرؤ على الخوض فيما يريد ابسن أن يقول لنا، فإننا من الممكن أن نتعلم شيئا منه.

Zakia khairhoum
Ghaliawin11@yahoo.com





■ نبذة عن المترجمة

زكية خيرهم الشنقيطي

* مغربية الأصل نرويجية الجنسية.

* بكالوريوس مزدوج فرنسي عربي.

* دراسة مكثفة في (الحضارة الفرنسية) بجامعة السوربون.

* حصلت على ماجستير أدب إنجليزي بجامعة« سان فرنسيس كالدج» بإنديانا بوليس.

* عملت أستاذة اللغة الفرنسية والخط العربي في مدرسة إسلامية (أرتيهاجن) أوسلو .

*عملت في المركز الثقافي العراقي بأوسلو .

* نائبة رئيسة :منظمة المرأة العربية في النرويج ٢٠٠٠.

*عملت مستشارة للمركز الثقافي النرويجي(NORICOM) للترجمة.

*لها مشاركة مع مجموعة كتاب من مختلف الجنسيات في إصدار كتاب للأطفال دار نشر كولتور برو ٢٠٠٤.

* لها مشاركة مع مجموعة كتاب من مختلف الجنسيات في إصدار كتاب بانطولوجيا عن التهذيب في المجتمع النرويجيي.

*صدرت لها مجموعة قصص للأطفال بعنوان « كما تزرع تحصد».

*صدرت لها رواية بعنوان «نهاية سري الخطير» ٢٠٠٣ .

* صدرت روايتها نهاية سري الخطير باللغتين الإنجليزية والصربية.

* صدرت لها مجموعة قصصية بعنوان «الأجانب في بلاد القراصنة».

* أقامت معارض للخط العربي في كل من تونس، باريس ونيويورك.

* ترجمت بعض الأشرطة الوثائقية من الإنجليزية إلى العربية لشركة (الكاتيل Alkatel).

* ترجمت كتاب عيون في غزة، للطبيبين النرويجيين مادس غلبرت وإيرك فوسا.

* ترجمة رواية «برزخ» للكاتب النرويجي سيون ستراتغر .

* أما الكتاب الذي رشح لجائزة الشرف لعام ٢٠١٢ لتميز ترجمته فهو: برزخ إيميلي وصموئيل من تأليف سيمون سترونجر وترجمة زكية خيرهم..

* كانت عضوًا في المجلس البلدي، تمثل حزب اليسار الاجتماعي في النرويج حتى عام ٢٠١٢.

* كتبت مسرحية مقتبسة من بيت الدمية مع كاتبة الدراما لينا ستايملر ومثلت المسرحية في المسرح بأوسلو ونوقشت في مهرجان إبسن بأوسلو.

* شاركت في مهرجان إبسن في داكا ببنجلاديش ٢٠١٠ .



الفهرس

هنريك إبسن يتجدد ويتجسد - مقدمة بقلم حسن توفيق ٣
مقدمة بقلم المؤلف : شيين - جريمستا (١٨٢٨) ٩
أول رحلة بعيدا عن الأهل ١٣
آثار من الطفولة والشباب ٢١
سنوات الشباب في غريمستاد ٢٥
كاتالينا الكتاب الأول ٢٩
كريستانيا - برغن - كريستيانيا (١٨٢٨-١٨٥٠) :
سنة دراسة في كريستيانيا وسنة تعليم في برغن ٣٣
سوزانا ٣٧
سنة دراسة في كريستيانيا ٤١
روما- درسدن - ميونيخ - (١٨٦٤-١٨٧٨) : الرحلة الثانية من الوطن ٤٥
في الطريق إلى شيء جديد ٥٧
ابسن وجد الشكل الذي يرتضيه ٦٥
روما - ميونيخ (١٨٧٨- ١٨٩١٩) : بيت الدمية ٦٩
أشباح ٧٣
إبسن السياسي ٨١
البطة البرية ٨٥
بيت روزمرز والسيدة من البحر ٩١
مايسولن في حياة بسيبتمبر ٩٧
هيدا جابلر ١٠١
كريستيانيا (١٨٩١-١٩٠٦) ١٠٥

محاضرة هامسون ١٠٩
النهاية ١١٧
خاتمة المطاف ١٢١
الأدب.. ١٢٧
الانترنيت ١٢٩
متحف ابسن ١٣١
رؤية مصرية لمسرحية هايدا جابلر - الدكتور علي الراعي ١٣٣
نبذة عن المؤلف بقلم: زكية خيرهم ١٤٣
نبذة عن المترجمة زكية خيرهم ١٤٩
الفهرس ١٥١